رسالتان

في الرد على اليهود

الرسالة الأولى

الحسام الممدود في الرد على اليهود

تأليف

أبي محمد عبد الحق الإسلامي
كان يهوديًا فأسلم

الرسالة الثانية

الرد على من قال بأفضلية بني إسرائيل على العرب

تأليف

السلطان العلوي الشريف أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل
المتوفى سنة ١٢٣٨هـ

دراسة وتحقيق

عبد المجيد خيالي
خريج دار الحديث الحسنية بالرباط

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلميـة
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

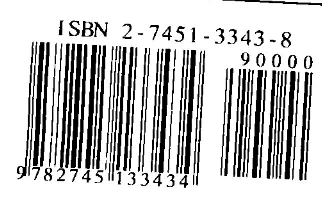

ISBN 2-7451-3343-8

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أنعمَ علينا بنعمة الإيمان، وبغَّض إلينا الكفر والعصيان، وجعلنا من أُمة سيِّدنا محمد الأمين العدنان، اللَّهمَّ احشرنا في زُمرته ولا تُخزِنا يوم العرض بفضلك يا قويّ يا منّان.

وبعد: لنعلم علم اليقين أننا خُلِقنا للعبادة، وطاعة الرَّحمٰن وتطبيق شرع الله بدون إلحاد أو جحدان، فبالطاعة يرتقي الإنسان إلى العالم الملائكي وبالعصيان ينزل إلى درجة الحيوان والشيطان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[1].

فالمؤمن مَن يسمع آيات الله ويخشع قلبه لها، ويتدبّر أحكامها ليطبّق أوامرها ويجتنب نواهيها. لكن البعض من هؤلاء الناس سمعوا آيات الله فحرَّفوها وغيَّروا معانيها ليَضلّوا ويُضلّوا، وعلى رأسهم اليهود لعنهم الله ومَن سلك طريقهم، فهؤلاء رغم جميع الإنذارات الإلٰهية، والدروس السمٰوية لم يغيِّروا ما بأنفسهم، بل غيَّروا وحرَّفوا آيات التوراة قبل نزول القرآن الكريم، وافتروا على الله ورُسُله بأقبح الاتهامات والجرائم، فكل نبيّ لفَّقوا له تُهمة، وكذبوا عليه بُهتانًا، ولم يكتفوا بهذا، بل اغتالوهم وجعلوا فلسفة خبثهم في شكل كتاب مقدّس (اسمه التلمود) هذا الكتاب الذي يُحلّ لهم جميع

---

(1) سورة الفرقان، آية: 44.

الفواحش والمناكير، ويلقّنهم أنواع الضلالات باسم ربهم يَهوه الذي يتنازل في زعمهم إلى درجة الجهّال، ويطلب من طواغيت الصهاينة بركات وإرشادات، ويعتبرهم أربابًا من دونه.

وفلسفة التلمود طوّروها لتأخذ شكل الحرب على جميع أنواع البشرية بتحطيمها وتركيعها، فبنو إسرائيل يعملون الشرَّ كأنهم يعملون الخير، ويدّعون الصّلاح، وجُبِلوا على الكفر والفسوق والعصيان حتى عاد الخبث يجري في شرايينهم مجرى الدم في الإنسان، أما قلوبهم فهي غُلف أشدّ قساوة كما وصفهم بذلك ربّ العزّة والجَبروت في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[1]. ومعنى هذه الآية أن الله تعالى يصف اليهود بقساوة قلوبهم، وقساوة القلب تعني خروج الرحمة واللّين، ومشاعر الإنسانية. هذا الخروج تؤيّده الحوادث التاريخية الإجرامية التي من أهمها قتل النساء والأطفال والشيوخ بل قتلوا الأنبياء والرُّسُل كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾[2].

ويقول عنهم أحد أقطاب المسيحية مارتين لوثر، مؤسِّس البروتستانية (في سفرئير لاثفر) من صفحة 28 إلى صفحة 120 مجلد 32: «الجُبْن والرياء الذي يتظاهر ويستغيث اليهود به باسم الإنسانية ليس إلا خداعًا للناس. فاليهود يتعطّشون للدماء والانتقام، ولا يوجد في جميع أنحاء العالم قومٌ مُغرمون بسفك الدماء وحبّ الانتقام مثل اليهود، فهم يدّعون أنهم شعب الله المختار، ويُبيحون إبادة الجنس البشري بلا مبرِّر». وما يقال عن خبثهم ونواياهم الإجرامية، قد بيّنها الله تعالى في القرآن، وفضحهم بين الخلائق ليُرِي مكرهم للناس ويحتاطوا منهم أشدّ حياطة.

(1) سورة البقرة، آية: 74.
(2) سورة البقرة، آية: 87.

ومصنّف هذه الرسالة بعد ما استيقظ من غفلته وتاب إلى ربّه من اليهودية إلى الإسلام نقل أخبارهم بالتفصيل عمّا يحيون عليه من خداع ومظالم، عَبَّرَ عنها بقلب مُنشَرح تعلوه الطمأنينة تارة لما شرح الله صدره للإسلام، وتارة يتأسّى عمّا كان عليه بين أحضان اليهود من غفلة وضلال، لو مات على هذه الحالة سيكون مصيره في الآخرة العذاب والنار، نعوذ بالله من سمومها وحرّها، ومن أهلها والدّاعين إليها.

كتبه: عبد المجيد خيالي

المــؤلِّف

من الخطوات التي ينهجها المحقِّق في تحقيق أيّ مخطوط هو التعريف بصاحب الكتاب المحقَّق وهذا التعريف يندرج أساسًا عبر الخطوات التالية:

1 ـ عصر المؤلِّف.

2 ـ مولده، اسمه، كنيته، شُهرته، مكان ولادته ونشأته، وتاريخ مولده.

3 ـ علمه، شيوخه، تلامذته، مؤلَّفاته، رحلاته، ثم وفاته. وهذا يتأتّى حسب توفّر المادة وكثرة مَن ترجموا للمترجم. لكن أحيانًا يتعذّر علينا كل هذا فلا نتمكّن إلا من معرفة اسم المؤلف فقط وأحيانًا يكون المصنّف مجهولًا ومع ذلك يحقِّق كتابه، ولا يعتبر هذا عقبة في عدم التحقيق.

وهذا بنفسه حدث لنا مع صاحب هذا الكتاب، حيث لم يترجم له بالخصوص مترجمو أهل عصره ولا أعلم لذلك سببًا. فكل ما قيل عنه أنه كان يهوديًا فأسلم، وسمّى نفسه بعبد الحق، ولُقِّبَ بأبي محمد الإسلامي، فالأستاذ محمد المنوني رحمه الله ما نقله لنا عنه سواء في كتابه: ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين[1]، أو من خلال ندوته[2] التي عقدها سنة 1968 وهي مطبوعة في كتاب تحت عنوان من تراث المغرب

(1) انظر صفحة المرجع رقم: 219. (2) صفحة رقم: 78.

محاضرات الموسم الثقافي، أنه قال: وفي صدد اليهودية هناك كاتب من سبتة انتقل للإسلام وتسمّى بعبد الحق الإسلامي. ولمّا ترجم له الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله لأعلام سبتة في كتاب المناهل[1] تحت عنوان سبتة من خلال رجالاتها بيوغرافية شاملة لم يذكر المصنّف عبد الحق الإسلامي، بينما ذكره مقترنًا باسم كتابه المسمّى: بالحُسام الممدود في الرّد على اليهود في كتابه: سبتة ومليلة معقلان مغربيان أماميان على البحر الأبيض المتوسط[2].

كذا الدكتور محمد حجي لمّا فهرسَ لكتاب عبد الحق الإسلامي في كتاب فهرس مخطوطات الخزانة الصبيحية بسلا قال: لم أقف على ترجمته.

إذًا لقد سبقني في هذا الدرب، فطاحلة الميدان وفُحُول الباحثين ممّن بذلوا جهدًا في إيجاد ترجمة لهذا الرجل فلم يجدوا له.

لكن المتواتر عليه أنه كان يهوديًا فأسلم وسمَّى نفسه عبد الحق. أما كلمة «إسلامي» فلي تعقيب لكل مَن يخطّها ويمرّ عليها بدون تعقيب.

فكلمة إسلامي يطلقونها على مَن عُلِمَ قرب عهده بالإسلام. وقصدهم به التعبير بالكفر للذي هو قريب عهد به وأحدثوا له ألقابًا أُخرى، وذلك لا يحل، بل الواجب التسوية بين المسلمين في كل الحقوق. بل يتأكد على أهل الهِمَم العليّة زيادة اعتناء بهم والحرص في جبر خواطرهم حتى يُرضيهم أبلغ الإرضاء[3].

وإذا تتبّعنا خطوات ذلك فجُلّ مَن دخلوا الإسلام من العجم سُمّوا بأحسن الأسماء وكان لهم شأن كبير عند رسول الله ﷺ وعند صحابته.

(1) كتاب المناهل عدد 22 من صفحة 658 ـ 719 وهو عدد خاص بالحركة الفكرية بسبتة صدر سنة 1982.

(2) انظر صفحة الكتاب رقم: 64.

(3) راجع هذا في كتاب نشر المثاني للقادري: 3/ 344.

فسلمان الفارسي لمّا دخل الإسلام نسبه رسول الله ﷺ إلى آل بيته فقال: «سلمان منّا آل البيت». وكان عليّ بن أبي طالب يلقّبه بلُقمان الحكيم. ولمّا سُئِلَ عنه بعد موته قال: ذاك امرؤ منّا وإلينا أهل البيت مَن لكم بمثل لُقمان الحكيم؟ وما تجرّأ أحد أن يلقّبه بلقب آخر. وقِس على سلمان، صهيبًا الرومي، وبلالاً الحبشي وغيرهما.

وفي هؤلاء قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يُؤتَون أجْرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتّبعه وصدقه فله أجْران، وعبدٌ مملوك أدّى حقّ الله، وحقّ سيِّده فله أجْران، ورجل كانت له أمَةٌ فغذَّاها فأحسن غِذاءَها ثم أدَّبها فأحسن تأديبها وعلَّمها فأحسن تعليمها وتزوَّجها فله أجْران». الحديث أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي.

ورسولنا الكريم لمّا كتب إلى هِرَقل قال له: «أسلم يُؤتِكَ الله أجْرَك مرتين»، لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[1].

وعلى أيّة حال فالإسلام جاء ليهذِّب النفوس ويُقَوِّم الألسُن، ويجمع بين الناس، ويقضي على عُبِّيَّة الجاهلية، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[2].

(1) سورة القصص، آية: 54. (2) سورة الحجرات، آية: 13.

دوافع تأليف الكتاب
وموضوعه وتقاسيمه

سبب تأليف هذا الكتاب حسبما تتبّعناه في النسخ الخطية الثلاثة المعتمدة في التحقيق، والنسخة المطبوعة طبعة حجرية؛ وجدت هناك سببين مختلفين:

ـ فالسبب الأول كما ورد في النسخة المرقّمة تحت عدد 3395 د أنه كتبها بإشارة من أبي زيد عبد الرحمٰن[1] بن الحاجب المريني أحمد القبائلي المتوفّى هو ووالده ذبيحين يوم الخميس 30 شوّال سنة 882 هـ/ 1400 م.

ـ أما السبب الثاني فهو مخالف لما ورد في هذه النسخة قياسًا مع النسخ الأخرى بأن سبب تأليفه لهذه الرسالة جاء إشارة من بعض طَلَبَة سبتة. مما يدلّ على أن الرغبة في تأليفه جاءت من أكثر من جهة. وهذه الإشارة ذكرها في افتتاحية الرسالة بعد أن شرح منهجه في تأليفها وأقسامها.

فيذكر أنه لمّا مَنَّ الله عليه بالإسلام وضع كتابه هذا مُستَبينًا عليه بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة، ومنهجه في ذلك اقتصاره على ما في كتبهم بما لا يَسَعُهم إنكاره لا بوجه ولا بحال، وجعل ما هو في التوراة بزعمهم مكتوبًا بالحُمرة.

---

(1) انظر ترجمته في جذوة الاقتباس ص: 258 ـ 259، والاستقصا: 4/ 88 دار الكتاب.

وجعل الكتاب منحصرًا في خمسة أبواب:

ـ **الباب الأول**: في تقرير المواضع الدّالّة على صحّة نبوّة سيِّدنا محمد ﷺ وإرساله لكافّة الناس.

ـ **الباب الثاني**: في نسخ شريعة الإسلام لجميع الشرائع والأديان.

ـ **الباب الثالث**: في بيان تجسيم اليهود لعنهم الله تعالى وشركهم بـه.

ـ **الباب الرابع**: في وقوعهم في الأنبياء عليهم السلام ودُعائهم على المسلمين وملوكهم.

ـ **الباب الخامس**: فيما في توراتهم من تعظيم النبي ﷺ.

وصف نسخ «الحُسام الممدود في الرّد على اليهود» مع الإشارة إلى استعمال النسخة المطبوعة طبعة حجرية

1 ـ الأصل المعتمد: نسختا الخزانة العامّة بالرباط رقم 364 حرف د ـ ورقم 3395 د.

2 ـ ونسخة عدد 124 بالخزانة الصبيحية سلا.

3 ـ ونسخة الطبعة الحجرية.

أولًا: وصف النسخة المعتمدة، وهي التي تحت عدد 364 حرف د. الموجودة بالخزانة العامة الرباط. رمزت لها بحرف (أ) ضمن مجموع تبتدىء من صفحة 136 إلى صفحة 160. أي عدد أوراقها: 13 ورقة. مقياس صفحاتها: 21,5 سم طولًا و17 سم عرضًا عدد سطورها 24 سطرًا مكتوبة بخط مغربي لا بأس به. لون حبرها أسود من مادة الصمغ، مع استعمال الحبر الأحمر في الكتابة العبرية واستعمال اللون الأزرق نادرًا، سليمة من التآكل تمّ نسخها في رجب سنة 1289 هـ عارية من اسم الناسخ. جعلتها مُقَدَّمَةً على باقي النسخ لصحّتها ووضوح خطّها وتفادي الأسقاط والأخطاء الموجودة بباقي النسخ.

وصف النسخة الثانية، الموجودة بالخزانة الصبيحية بمدينة سلا تحت عدد 124 ضمن مجموع مقياسها: 25 سم طولًا و17 سم عرضًا. عدد صفحاتها 24 صفحة في كل صفحة 23 سطرًا بمعدل 13 و16 كلمة في كل سطر كُتِبَت بحبر أسود من نوع الصمغ، مع استعمال الكتابة العبرية باللون

الأحمر، لون الورق يميل إلى اللون الأصفر الباهت سليمة من التآكل، عارية من اسم الناسخ وزمن النسخ. كُتِبَت بخط مقروء لا بأس به. بها أسقاط كثيرة، وأخطاء إملائية عديدة، مما يدلّ أن الناسخ ليس له إلمام باللغة. مسفّرة تسفيرة حديثة لونها أخضر.

وصف النسخة الثالثة، وهي التي رَمزتُ لها بحرف (ت) توجد بالخزانة العامّة بالرباط تحت عدد 3395 د تقع ضمن مجموع من صفحة 360 إلى صفحة 381 عدد أوراقها 11 ورقة أي 22 صفحة. مبتورة الورقة الأولى. مقياسها 20 سم طولًا و14,2 سم عرضًا. كُتِبَت بخط مغربي لا بأس به. بها أسقاط وتحريفات وخُرُوم متّسعة على حواشيها كُتِبَت بمادة الصمغ الأسود مع استعمال اللون الأحمر في كتابة اللغة العبرية، عدد سطورها في كل صفحة 22 سطرًا في كل سطر 12 كلمة تقريبًا الكتاب ألفه مصنّفه كما جاء في آخر الورقة في العشر الآخر من ذي القعدة عام 796 هـ. عاري من اسم الناسخ بينما ذكر زمن نسخها وهو سنة 1075 هـ. مسفّرة تسفيرة جلدية قديمة لونها أحمر غامق اللون يميل إلى السواد، وعلى ظهره ديباجة مذهّبة.

عملي في التحقيق

أول خطوة خطوتها في تحقيق هذه الرسالة أنني بحثت عن تعدّد نُسخها فوجدت منها ثلاث نُسَخ خطيّة، وأخرى مطبوعة على الحجر فقارنت بين النُسخ الخطية فوقع اختياري على النسخة المرقَّمة تحت عدد 364 د الموجودة بالخزانة العامة بالرباط وذلك لوضوح خطّها وقلّة أخطائها. رمزتُ لهذه النسخة بحرف (أ).

ثم جعلت النسخة الثانية هي النسخة الموجودة بالخزانة الصبيحية بسلا وذلك لقُربها من النسخة الأولى وإن كان بها أسْقاط. ورقمها 124. ورمزتُ لهذه بحرف (ب).

أما النسخة الثالثة وإن كانت قديمة فقد جعلتها في الرتبة الثالثة نظرًا لكثرة ما بها من أخطاء، وأسْقاط وبَتْر في أول الورقة مع خُرُوم متّسعة وهي تحت عدد 3395 د. رمزتُ لها بحرف (ت).

أما النسخة الرابعة فهي مطبوعة على الحجر. رمزتُ لها بحرف (ح) واستعنت بها أيضًا في تحقيق بعض الكلمات.

هذا ما يمكن أن يُقال عن مقارنة النُّسَخ.

أما العمل الثاني، فهو أنني عرَّفتُ بالمدينة التي وُلِدَ فيها المؤلِّف وهي سبتة.

ثالثًا، لإبراز مضمون الكتاب قمت بوضع رمز المعقوفتين للدلالة على ما يزيد في الأصل، أو ما أُسقِطَ منه، أو من إحدى النُّسَخ إن كان فيه ما يخلّ بالمعنى.

رابعًا، وضعت الأرقام العددية فوق الكلمات المُراد تحقيقها، والآيات القرآنية.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الصفحة الأولى من النسخة المعتمدة في التحقيق والمرموز لها بحرف (أ)
ورقمها 364 حرف د، موجودة بالخزانة العامّة بالرباط

الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز لها بحرف (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الصفحة الأولى من النسخة الثانية المرموز لها بحرف (ب) والموجودة بالخزانة الصبيحية سلا، وعددها 124

الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز لها بحرف (ب)

الصفحة الأولى من مخطوط عدد 3395 د المرموز لها بحرف (ت)

الصفحة الأخيرة من النسخة المرموز لها بحرف (ت) موجودة بالخزانة العامّة الرباط

الصفحة الأولى من المطبوع الحجري والمرموز لها بحرف (ح)

الصفحة الأخيرة من المطبوع الحجري المرموز لها بحرف (ح)

تحقيق كتاب
الحُسام الممدود
في الرّدّ على اليهود

تــأليف
أبي محمد عبد الحق الإسلامي البستي
عاش في القرن الثامن الهجري
عهد الدولة المرينية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله

[مقدمة الكتاب]

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي سَدَّدَ فأرشد إلى الإيمان والإسلام، وأطلق بتوحيده وتمجيده[1] الأنام وأضراب[2] الأعلام.

والصلاة والسلام[3] التّامّان[4] الأكملان[3]، على سيِّدنا ونبيِّنا[5] ومولانا محمد الآتي بالهدى والإيمان، والآيات الواضحات[6] البيان، الناسخ بدينه القويم كل الأديان، والرّضى عن آله وأصحابه الأبرار، وعن التابعين لهم بإحسان.

أمَّا بعد... بعد حَمْد الله تعالى وترديد الصلاة على سيِّدنا ومولانا محمد يتكرّر ويتوالى. فيقول العبد المُعتَرِف بما آتاه المُغتَرِف من فيض نعماه ورحماه عبد الحق الإسلامي، وفَّقه الله وسدّده، وهداه وأرشده الله تعالى وله الحكمة فيما قَدَّرَ وقضى، كان أطلعني منذ ستة عشر سنة على الحق الذي لا يشكّ فيه عاقل، ولا يَرتاب فيه إلا أهل[7] الباطل وهو الإيمان بسيِّدنا ونبيِّنا[8] ومولانا محمد ﷺ والاقتداء به في جميع الأحكام، وكان من

(1) في ب: ألسنة الأنام.
(2) في ب: وطوائف.
(3) ساقط من: ب.
(4) في ب: التامة.
(5) ونبينا ساقط من: ب.
(6) في ب: الواضحة.
(7) في ب: ولي.
(8) إسقاط ونبينا من: ب.

حكمته أن قدّر[1] عليّ بكتمانه وإخفائه[2] وعدم إفشائه وإبدائه، إلى أن وفّقني الله وألهمني [ونبّهني وأفهمني][3] أن هذا القدر لا يكفيني ولا يخاصني[4]، بل الواجب عليّ [في ذلك][3] إذاعة توحيده، والنطق بتنزيهه وتحميده[5]، وإشاعة الإيمان برسوله سيِّدنا محمد ﷺ فبادرت إلى يُجيرني من العذاب الأليم، ويقرِّبني من[6] جنّات النعيم فقلت معلنًا[7] بكلمة التوحيد ناطقًا بالتنزيه والتمجيد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ثم أسلَم على يدي بحمد الله تعالى جميع[8] أهلي وولدي وكلّ مَن سبقت له السعادة ممّن كان يُلازمني، وكُلُّ ذلك أَلْطَافٌ من الله سبقت، ورحمة [منه قد][9] عمّت وشملت، ورأفة سدّدت عبيده إلى طريق هُدَاهُ ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[10]، فله الحمد والشكر، وله الخلق والأمر، وبيده الخير والشر، [والنفع والعزّ][9] ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[11]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[12]. ولـمّـا قدّر[13] الله سبحانه وتعالى بما مَنَّ به عَلَيَّ [من الإسلام، والدخول في دين خير خلقه عليه السلام][9] أشار عَلَيَّ بعض طَلَبَة مدينة سبتة[14] أعزّهم الله تعالى وحرسها أن أُؤلِّف جزءًا في بيان ما هم عليه اليهود لعنهم الله تعالى من الضّلالة والكفر الشنيع والشّرك بالله البشيع[9]، وما هم يعتقدونه من الكذب[9] المحض في إنكار نبوّة سيِّدنا ومولانا محمد ﷺ. فيكون إن شاء

(1) في ب: قدر الله.
(2) في ب: إبقائه.
(3) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(4) في ب: ويخلصني.
(5) في ب: وتمجيده.
(6) في ب: إلى.
(7) في ب: ناطقًا.
(8) إسقاط جميع من: ب.
(9) ساقط من: ب.
(10) سورة الأعراف: آية: 43.
(11) سورة النحل، آية: 93.
(12) سورة الأنبياء، آية: 23.
(13) في ب: مَنَّ.
(14) سبتة: مدينة صغيرة تقع شمال المغرب تجاه جبل طارق وميناء بحري صغير وهي إدارة تعتبر جزءًا من مقاطعة قادش الإسبانية سقطت في يد الإسبان عام 1580 ميلادية وبقيت في أيديهم منذ ذلك الحين.

الله تعالى مَاحِيًا لاعتقادهم مَحوًا لآثار[1] فسادهم، وأنا[2] اسْتَعَنْتُ بالله تعالى الذي لا إلـه إلا هو على ما أُشيرَ به عَلَيَّ مع قصد التقرّب إلى الله تعالى، مستدِلّا عليهم بالأدلّة الساطعة، والبراهين القاطعة، مما يدلّ على فساد عقولهم[3]، ويؤذن بجرأتهم وعدم أدبهم [في مقولهم][4]، واقتصرت على ما في كتبهم المبَدَّلة، مما لا يسعهم إنكاره، ولا النزاع[5] فيه بوجه ولا حال[6]، فيكون أنكد[7] الهمّ، وأبلغ في الحجة عليهم وأحرى في الاستدلال وجعلت ما هو في التوراة بزعمهم أو في غيرها من كتبهم وتواليفهم من النصوص بالعبرانية[8] مكتوبًا بالأحمر، وشرحها بالمداد الأكحل، على حسب تفسير قدمائهم وشرح علمائهم، وإني لأستغفر الله من حكاية كفرهم وبشاعة نظرهم، وبيّنته على الإيجاز والاختصار من غير بَسْط ولا إكثار. [وسمّيته **الحُسام الممدود، في الرّدّ على اليهود**][4]، وها أنا قد شَرَعْتُ فيما به وعدت وبالله أستعين وهو الموفِّق المعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. [فنقول إن الكلام ينحصر معهم في خمسة أبواب][9]:

- **الباب الأول**: في تقرير المواضع التي في كتبهم الدّالّة على ثبوت[10] نبوّة سيِّدنا ونبيِّنا ومولانا محمد ﷺ، وأنه مُرسَل لكافّة الخلق.

- **الباب الثاني**: في نسخ شريعته لجميع الشرائع.

- **الباب الثالث**: في وقوعهم في الأنبياء والمُرسَلين عليهم السلام وملوكهم ومَن ليس منهم.

---

(1) في ب: لآثارهم مع إسقاط كلمة فسادهم. (2) في ب: وإني.
(3) في ب: عقلهم. (4) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(5) وردت في ب على الهامش بلفظ التنازع. (6) في ب: ولا بحال.
(7) في ب: أنكر. (8) في ب: العبرانية.
(9) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب.
(10) إسقاط ثبوت من: ب.

ـ **الباب الرابع**: فيما في توراتهم المُبدَّلة من الشّرك والتجسيم والتبديل والتغيير مما تُغلَق منه الآذان ويُنَزَّه عنه الواحد [الأحد الفرد الصمد الرحيم][1] الرحمٰن.

ـ **الباب الخامس**: فيما في كتبهم من تعظيم النبي ﷺ في صلواتهم [من أسراره ومعجزاته وآياته][1] وأُمرائه.

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.

الباب الأول

في تقرير المواضع الدّالّة على صحّة نبوءة سيِّدنا ومولانا محمد ﷺ وثبوتها[1]

اعلم وفَّقني الله وإياك أن اليهود لعنهم الله أنكروا نبوءة سيِّدنا محمد ﷺ، وبالغوا في ذلك كل المبالغة جَحْدًا منهم وطغيانًا وكفرًا، وأنه ﷺ لثابت عندهم[2] في كتبهم راسخ في دواوينهم. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[3]، ونحن نستعين بالله في الرّدّ عليهم وبُطلان ما يوافقون عليه ولا ينكرونه، بل[4] ولا يقدرون على إنكاره، وإنما[5] أرميهم بأحجارهم، وآخذهم بإقرارهم وأستخرج ذلك من كتبهم المنزَّلة بزعمهم، وعددها أربعة وعشرون كتابًا. فأول ذلك ما في الكتاب المسمّى **ملاخم** الذين ينسبونه لليسع عليه السلام في قصّة سلطان بني إسرائيل المسمّى عندهم أَحْأَبْ، وكان من كبار ملوك بني إسرائيل، وكان معتقدًا لدين[6] محمد ﷺ، وكان اليهود [لعنهم الله][7] يكفِّرونه حينئذ، واستمروا على ذلك حتى[8] الآن. وحُكِيَ أنه جاءه ملك من ملوك الروم اسمه ابْنُ هَدَدْ بجيوش لا يعلم عددها إلا [الله][9] الذي خلقها، ومعه اثنان وثلاثون سلطانًا وحصروه بمدينة سمرون، وبعث إليه إرسالًا وطلب منه أن يعطيه جميع ما

---

(1) إسقاط وثبوتها من: ب.
(2) ساقط من: ب، وت.
(3) سورة الرعد، آية: 33.
(4) إسقاط كلمة بَلْ من: ب وت.
(5) إسقاط الواو من إنما في: ب. وفي ت: لأني.
(6) في ب، ت: دين.
(7) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت.
(8) في ت: إلى.
(9) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ وت. الزيادة من: ب.

لديه[1] من الذهب والفضة، وأولاده ونسائه رهنًا، وطلب منه العَلَم الذي كان يقاتل به وكان مكتوب فيه: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله، وكان يغلب به في الحروب كلها، فأجاب[2] إلى كل ما دعاه[3] إليه من المال والأولاد إلَّا العَلَم المذكور. وَنَصُّ ما في كتاب ملاخم:

«كِي إِمْ كعتْ مَحَرْ اشْلَخ إتْ عَبْدَيْ إِلْيخَ وَحبَّشوا إتْ بشِيخَ وَإِتْ يَتِي عَبْدَ يَسخْ وَهَيَا محمد عَيَنيخَ يَسِيمُوْا بِيدَمْ وَلَقَاضواْ».

شرحـــه:

إذا كان بالعرب[4] غَدًا أُرسل إليك[5] عبيدي يُفَتِّشونَ بيتك وبيوت عبيدك، وحيث ما كان محمدٌ عِنَايَتُكَ يجعلوه في أيديهم، ويأخذونه منهم[6] يعني الْعَلَمَ الذي فيه اسم محمد ﷺ يأخذوه عبيدي من أيديكم ويُزيلوا انتصاركم به، فلما قرأ الملك أَحْأَبْ الرسالة اجتمع مع أشياخ اليهود وأحبارهم، وقرأ عليهم الرسالة واستشارهم [في أمرها][7] فأجمعوا[8] قاطبة [على أن يعطوا][9] ما بأيديهم[10] من الذهب والفضة والأولاد رهنًا[11]. ولم يوافق أحدٌ منهم على إعطاء الْعَلَم المذكور، وإخراجه من أيديهم فبعث الملك أَحْأَبْ إلى ملك الروم بما اتفقوا عليه، فغضب وأبي إلَّا الْعَلَم، وَحَلَفَ لَيُخَرِّبَنَّ دِيَارَهُمْ، ويغصب أموالهم وَيَسْبِي أولادَهُم وعِيالهم، ويقتل رِجالهم، فتشفع له أَحْأَبْ بالنبي محمد ﷺ، فلم يقبل الشفاعة وَصَمَّمَ[12] على يمينه، وبنى على هلاك أَحْأَبْ وكل مَن معه، فجاءه نبي من أنبياء ذلك العصر، وقال له لا تخف توكّل على الله سبحانه وعلى نبيِّه محمد ﷺ،

---

(1) في ب: ما عنده وفي ت: كلما لديه.
(2) في ب، ت: فأجابه.
(3) في ب: دعا.
(4) ساقط من: ب، ت.
(5) في ب، ت: لك.
(6) ساقط من: ب.
(7) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب، ت.
(8) في ب: فاجتمعوا.
(9) في ب: على إعطاء، وفي ت: على إعطائه.
(10) في ب: لديهم.
(11) إسقاط، رَهْنًا من: ب.
(12) في ب، ت: بل صَمَّمَ.

ينصرك على هؤلاء الملوك ويُعينك على هزمهم، فإن الله تعالى لا يضيع مَن آمن بمحمد واعتقد دينه[1] ومذهبه، فخرج إليهم أَحْأَبْ وقاتلهم، [فأعانه الله عليهم][2] فغلبهم وَفَرّوا بَيْنَ يَدَيْهِ هاربين، وانقلبوا في صفقتهم[3] خاسرين واشتهرت هذه الحكاية عند أهل ذلك العصر، فَآمَنَ منهم بالله مَن سبقت له[4] السعادة عند الله، وهذا الملك أَحْأَبْ عند[5] اليهود لعنهم الله من أعظم الكفّار لكونه آمن بمحمد ﷺ واعتقد دينه[1] ومذهبه. قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[6].

وهذا الملك أحْأَبْ مات مسلمًا حسبما شَهِدَتْ بذلك نصوصهم.

«وهمليِخِ هَيًّا محمد بَمرِ كَبَا نَخَخْ أَرَمْ».

شرحـــه:

والملك كان يذكر محمّدًا ويقاتلُ[7] الرومَ، فتأمّل هذا الذي ذكرت لك، فإن فيه أدلة شافية على كذبهم:

- منها: أن النبي ﷺ مذكور في كتبهم وهم ينكرونه جَحْدًا منهم للحقّ الذي لا شك فيه.

- ومنها: أنهم يعلمون ويتحقّقون أن نصرة أَحْأَبْ على ملك الروم إنما كانت بسبب إيمانه بالنبي ﷺ، وبوسيلة المشفع[8] به [إلى الله تعالى][9].

(1) إسقاط، دينه من: ب، ت.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(3) إسقاط صفقتهم من: ب.
(4) في ب: له من الله.
(5) في ب: هو عند.
(6) سورة المائدة، آية: 82، وهي ساقطة من: ت.
(7) في ب: يقابل. وفي ت، إسقاط كلمة: يقاتل الروم.
(8) في ب: التشفيع، وفي ت: التشفع.
(9) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب. وفي ت: عليه السلام.

ـ ومنها: أن هذا الملك أحأب، كان عظيمهم وسيِّدهم فَلَمَّا آمَنَ بمحمد ﷺ كَفَّروه، فَنَاهِيكَ من قوم يصمِّمون على الكفر، وَيَتَّبِعُونَ أهْوَاءَهُم، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1].

وهذا الذي ذكرنا[2] عنهم يشبه بالنظر[3] ما يأتي من اعتقادهم الفاسد.

فصـــل

يتضمن ذكر محمد ﷺ باسمه الذي لا ريب فيه [من ذلك][4] نص ما في كتاب هويشع وهو:

«مَا تعَسُواْ لِيُومْ مُوعِدْ وَلِيَوْم حَغْ أُذُنَيْ كِي هِنِّي هلخُواْ مِشْوَدْ مِضْ لاَيَمْ تَقِيمِيمْ مُود تغيرمْ محمد كَخْسِيم كِؤُسْ جِيرَسِمْ حُوحْ، بِأَهْلِيهِمْ».

شـــرحه:

أيّ شيء تعملون[5]، أم كيف يكون حالكم في اليوم الموعود، وفي اليوم المشهود، ما زلتم تسلكون وتنتقلون من نحس إلى نحس. المصريون أَسَرُوكم، و[6] الروم قتلوكم، و[7] محمد يَسبي أموالكم، والكؤس يطردونكم، والشوك في أخبيتكم. ومصدق[8] هذا الكلام: التقرير[9] والتوبيخ، وتعداد ما نزل بهم من المكروهات وكأنه يقول لهم: لا بدّ لهم أن يذهب رسمهم وآثارهم، حتى لا يبقى منهم أحد، ومحمد ﷺ وأمته هم[10] المسلّطون عليهم، بسبب كفرهم وانتقالهم من فساد إلى أفسد منه، وهذا معنى قوله: أنهم يسلكون من نحس إلى نحس، ومحمد كَخْسِيمْ معناه: أن النبي ﷺ يأمر بتغريمهم المال. والكؤس قبيلة من العرب. وحوح

(1) سورة القصص، آية: 50.
(2) في ب، ت: ذكرناه.
(3) في ب: بالنطق.
(4) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(5) في ب، ت: تعلمون.
(6) إسقاط الواو من: ب.
(7) إسقاط الواو من: ب، ت.
(8) في ب، ت: ومضمون.
(9) في ب: التعزير.
(10) إسقاط هم من: ب.

معناه: الشوك، أي أن أُمَّة محمد ﷺ يُزيلونهم ويمحون آثارهم، لأنهم عندهم بمنزلة الشوك لا منفعة فيه، وَيَبْعُدُ المرء عنه كذلك. هم لا منفعة فيهم لأُمة محمد ﷺ، بل إنهم مضرّة مجرّدة من النفع. وهذا الذي قرّر[1] يؤيده ما بعده، من النص وهو:

«بأويمي هغوه بأويمي هشلوم إوبلْ هنيّ مشجع إشْ هروح عَلْ رَوْبِ عُونَنْ وَرَبَّهُ مسطِينمَهْ».

شرحــه:

وصلت ليلة[2] المطالبة، وصلت أيام الانتصاف بسبب وقوعكم في النبي ﷺ قلتم إنه جاهل، وقلتم إنه أحمق مَرْيَاحْ، وهذا أعظم ذنوبكم وبه كثر الحقد عليكم، ووجب بغضكم وعداوتكم وفي هذه الجملة أدلّة عليهم:

أحدها: أن النبي ﷺ موجود في كتبهم كما في النص الذي قبل هذا.

الثاني: أن نصّهم أخبر أنه لا بدّ لأُمة محمد ﷺ، من أخذ أموالهم بسبب كفرهم، وهذا النص مما لا يبدلونه، والله أعلم، لأن ذلك موجود وما زال المسلمون يضربون عليهم الجزية، [ويأخذونها منهم][3] عن يد وهم صاغرون.

الثالث: أن كتبهم مُبدَّلَة لا محالة، ولا ينبغي لعاقل أن يشك في ذلك لأنه يستحيل أن يكون في كتاب الله المنزل: سَبُّ رسول الله ﷺ.

الرابع: أن هويشيع[4] المذكور كان قبل النبي ﷺ مع أنه أخبر به وصرّح باسمه وأنه محمد، والإخبار بالشيء قول[5] كونه قاطع بصحة ذلك

(1) في ب، ت: قررناه. (2) في ت: أيام.

(3) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.

(4) في ب، ت شيع. وفي ت: كان شيع قبل النبي ﷺ بألف سنة.

(5) في ب: قبل.

الشيء لأنه إخبار بما سيكون [والإخبار بما سيكون][1] إنما يكون بإذن الله عزَّ وجلّ، إذ لا يعلم ما في السمٰوات [وما في][2] الأرض الغيب إلا الله، وما أخبر به تبارك وتعالى [حق][3] لا يرتاب فيه مؤمن بالله، فالنبي محمد ﷺ حق والتصديق به واجب، وهذه أدلة كافية في الرّدّ عليهم، كيف[4] وقد وقعوا فيما هو أمرُّ وأدهى، وسيأتي ذكر كله مفسّرًا إن شاء الله تعالى.

فصـــل

يتبيّن [فيه][2] ذكر النبي ﷺ في التوراة والزبور وغيرهما من كتبهم، تارة باسم أحمد وتارة باسم محمد مستخرجًا ذلك من كتبهم[5] بحروف أبجد حسبما هو اصطلاحهم في ذلك.

فمنه[6]: ما وقع في أول سورة من التوراة ونصه:

«وَبَاعَسْ ألوهيمْ إتْ تنبيه هيروتْ هَجَّرْ وَلِيمْ».

شرحـــه:

وخلق الله النورين العظيمين[7]. وقوله: هَجَّرْ وليم: عدده ثمانية[8] وتسعون، يختصّ منها اسم محمد ﷺ باثنين وتسعين، والستة[9] الباقية من العدد ليوم الجمعة سادس[9] الأيام. فتفهم أرشدنا الله تعالى وإياك أن هذا[10] بَدَلٌ من نص آخر كان في موضعه، وبدل منه[11] بعد

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب، ت.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(3) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب.
(4) في ب: وكيف.
(5) ساقط من: ت.
(6) في ت: فمن ذلك.
(7) في ت: أمام كلمة: العظيمين: الشمس والقمر.
(8) في ت: سبعة.
(9) في ت: الخمس.
(10) في ب: أن هذا النص.
(11) في ب: به.

بعث[1] الرسول ﷺ، وإنما كان النص الأول يشير إلى أن الله تبارك وتعالى، لم يخلق النورين العظيمين وهما: الشمس والقمر إلا من نور سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وأنه الذي نسخ يوم السبت بيوم الجمعة، فبدل حينئذ النص الحاسدون الظالمون من علمائهم لعنهم الله، وجعلوا في هذا النص المبدل لفظة تدلّ على ذلك وهي: هَجَّر وليم بزعمهم أن محمّدًا يكون منهم، هكذا هو مفسّر في كتاب مضمون عندهم لعنهم الله. وسيأتي مثل هذا كثير إن شاء الله تعالى.

واعلم، أرشدك الله أن حساب أبجد قاعدة من قواعدهم وعليها مدار دينهم في فرائضهم، وسننهم، وهذا مما[2] لا ينكرونه [قطّ لا بوجه ولا بحال][3].

فصـــل

يتبيّن فيه أن في توراتهم في الحزب[4] الأول منها أن الله تعالى أخبر أن أحمد يدخل [الجنة][5] قبل الخلق، ونصّ ذلك:

«وَيَصَّلِغ أَدُنَي أَبُوهِيم جَنْ بعيدن مِقِدِّمْ».

شرحــه:

ويدخل السيد أحمد الجنة قبل الخلق يدلّ على ذلك [لفظة][6]: جن إذ عدده ثلاثة وخمسون كما هو أحمد، فإن قالوا: مدلول جن إنما هو جنة. قلنا لهم: هذا يَؤُول [إلى أن يكون][3] معنى الكلام: يدخل الله الجنة في الجنة قبل الخلق، وهذا تفسير غير معقول ينزّه[7] كلام الله تعالى. فأحد

---

(1) إسقاط بعث من: ب. (2) في ب: معا.
(3) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب. (4) في ب: الحرف.
(5) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب وت.
(6) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت. (7) في ب: ينزّه عنه.

الأمرين لازم إما أنه ليس من كلام الله تعالى، وإما[1] ثبوت أن النبي ﷺ في كتبهم وأيّهما كان فهو المطلوب.

فصــل

يتبيّن فيه أن الله سبحانه وتعالى بشَّر أبانا إبراهيم عليه السلام بأن من ابن هاجر وهو: إسماعيل يخرج محمد ﷺ والنص[2] عندهم في ذلك:

«ولِيَشْيِمِعيلْ شَمَعْتِيخْ بِبَنِي رحمتي أوثو ومريشي أثو بِماذْ مَاذْ هَينيمْ علسر نَسِيمْ يُولِذْ وننثين تجُويْ جَدُولْ».

شرحــه:

ودعوتك لإسماعيل مقبولة فأبارك[3] فيه وأكبره[4]، وأنميه، وأخرج منه محمدًا ويدلّ على اسم محمد ﷺ قوله: «بِمَاذْ مَاذْ» لأن عدده اثنان وتسعون ومحمد كذلك، وهذا مما يدلّ أنه ﷺ موجود في كتبهم، وهم ينكرونه [لعنهم الله وَأَذَلَّهُمْ بين خلقه][5].

فصــل

يتبيّن فيه أن آدم عليه السلام إنما خلقه الله سبحانه بسبب محمد. ونصّ ما ورد من ذلك في الحزب[6] الأول من التوراة:

«وَيَامِرْ أَذُنَيْ أَلُوهِيمْ هِنْ هَادَمْ هَيِهْ كَاحَذْ ممنوا».

شرحــه:

وقال الله: إنني أخلق آدم ليخرج من ظهره أحمد، ويكون كأحدكم. قال علماؤهم: يعني في الرتبة وأعلى يدلّ على أحمد «هيهْ كَاحذْ»

(1) في ب: أو.
(2) في ب: بياض. وفي ت: ونص ما وقع في ذلك من التّوراة.
(3) في ب: بارك.
(4) في ب: وأكثر. وفي ت: وأكثره.
(5) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت.
(6) في ب: الحرف.

عدده[1] ثلاثة وخمسون وأحمد كذلك، وهذه القاعدة قد قرّرنا أنها من قواعدهم وأُصولهم، مما يبنون عليها فرائضهم في أكثر مسائل دينهم، وأنهم بدّلوا ما كان من النصوص في هذا المعنى حسدًا منهم لعنهم الله، وأذلّهم[2]، وإن أرادوا نقض[3] هذه القاعدة. قالوا: لا تستعمل في هذا المحل. قلنا لهم: تخصيصهم[4] هذا المحل وما أشبهه بعد[5] الاستعمال تخصيص من غير مخصص وهو باطل، وهم دائرون بين شيئين: إما رفض جميع ما بنوا على هذه القاعدة أو استعمالها فيما ذكرنا، وأيهما كان فهو مُقَوٍّ لمطلوبنا ومُنتج لدليلنَا ثم نولد عليهم سؤالًا ونقول لهم: أنتم مقلّدون[6] لعلمائكم، مُتّبعون لهم في أقوالهم وأفعالهم فَأْتونَا بِنَصٍّ من موضوعاتهم[7] ينبىء بأن هذه القاعدة لا تستعمل في هذا المحل، فما لهم جواب عن هذا أصلًا إذ لم ينصّ أحد من أحبارهم على ما راموه، وإذا علم النص وجب[8] الرجوع إلى القاعدة الأولى، والانقياد إليها، وهو واضح لا يُنَازِعُ فيه إلّا مُكابِرٌ جَاهل والتوفيق بيد الله.

فصــــل

يذكر فيه أن محمدًا ﷺ خير من كل ما خَلَق الله، وصلواته خير من كل الصلوات، ونص ما في[9] التوراة من ذلك في الحزب الأول منها:

«وَيَّرْ أُلُوهِيمْ إِتْ كُلْ أَشِرْ جَسَا وَهِتَّهْ طُوبْ مَاذْ».

شرحــــه:

وعلم الله كل ما خلق، وأن خيرهم أحمد، والخمس صلوات، والجمعة، والعيدان، ويؤخذ ذلك من قوله: وَهِتّهْ. لأن عدده ستة وستون

(1) في ب: إذ عدده.
(2) ساقط من: ب.
(3) في ب: إنقاض.
(4) في ب: تخصيصكم.
(5) في ب: هذا بعدم.
(6) في أ: مقادون، التصحيح من: ب وت.
(7) في ت: موضعهم.
(8) في ت: تعين.
(9) في ت: ونص ما جاء به.

منها لأحمد ثلاثة وخمسون، وللجمعة ستة لأنها سادس الأيام، وخمس للخمس صلوات، واثنان للعيدان وهذا فصل حسن مُظهِر لما فيه من العهد لإنكار[1] محمد ﷺ، وما جاء به، ولو أنهم نظروا لأنفسهم بعين البصيرة، وتبصّروا في لفظه: (وَهِتّهْ) التي في توراتهم، وبحثوا عن تفسيره وكيف كان النص قبل تبديله، وأجروه الآن على عادتهم[2]، فيهتدون إلى الحق المستقيم، ويتعبدون بالدين القويم، وما زلت أتكلم معهم قبل إسلامي، وأُبيِّن لهم ما قرّرته الآن[3] فيخرسُون، ولا يُجيبون بشيء. فإن قيل هذا الفصل لا يتضمن اتّباع شريعته ﷺ، ولا أنها ناسخة[4] لكل الأديان. قلنا: نعم[5]، ولكن[3] المقصود الأعظم من هذا الفصل، إنما هو الإقرار بمحمد ﷺ [مذكور في كتبهم][6]، وأمّا كون شريعته ناسخة لجميع الشرائع، فيأتي ذلك إن شاء الله تعالى، وإذا[7] سألت عن هذا فلا بدّ من البحث معك فيه. فنقول: إن قولهم في النص: خيرهم أحمد يقتضي أنه أفضل الخلق، ولكن هذه الصيغة لا تدلّ على عدم فضيلة المفضول بل تدلّ على فضيلته، ونحن نقول بفضيلة الأنبياء عليهم السلام، وأن محمّدًا ﷺ أفضلهم، وما جاء به أفضل مما جاء به غيره.

فصــــل

يُذكَر فيه رسول الله ﷺ، وأنه من ذرّيّة إبراهيم عليه السلام والنص في ذلك من التوراة:

«وَيُومِرُ أَدُنَيْ إِلِ إِبْرَمْ لِخْ لِخَ مِئُوَصَخْ وَمِمُّمَرَازْ تَخْ ومبت أبيخ إِلْ هَارُصَ أَشَرْ إِرَانِكَ وَإِيمِسْخُ لَجُوي جَدُول، وأبارضخ واعدلاه شميخ وَهِي

(1) في ب: في. وفي ت: لما هم عليه من العمل في إنكار.
(2) في ب، ت: قاعدتهم المعلومة، مع إسقاط كلمة: المعلومة من: ت.
(3) ساقط من: ب، ت.
(4) في أ: قائمة. الإصلاح من: ب وت.
(5) في ب: لهم. وهي ساقط من: ت.
(6) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت.
(7) في ب: وإن.

بَراخَهُ، وَأَبْرِخَسُ مَبَارَ خَبْخَه وَمُمَلّلْخُ أَوَوْرٌ وثبار فَخَّهْ كَلْ مَشجَيُوث هَادَما».

شرحــه:

وقال الله لإبراهيم: امضِ من بلادك[1] وبيت أبيك إلى الأرض التي أُريك، وأخلق من ذرّيّتك محمدًا[2] وأُبارك فيه، وأُعظّم اسمه وسيكون بركة وأبارك فيمن يتبرّك به، وألعن مَن سبّه، [ويعظّمه الأكثر من مخلوقات العالم][3] وهذا فصل[4] بديع باترٌ لحججهم، لأن هذه الأوصاف لم توجد إلا في النبي ﷺ، والبركة والحمد لله ظاهرة في أمته [وما مِنْ اسم أعظم من اسمه ﷺ][5] وهؤلاء اليهود لعنهم الله، الطاعنون عليه[6]، قد ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله[7] ولُعِنوا أين ما كانوا. وهذا الموضع من النص[8] لا يصلح أن يكون فيه إلا محمدًا ﷺ، ولا يليق بهذا المحل غيره. ولا يمكن لفظ يعني بعدد (لَجُويْ جَدُول) إلا محمد ﷺ، وقد بيّنا[9] أن هذه قاعدة من قواعدهم بما[10] يُغني عن التكرار.

فصـــل

من نوع ما تقدّم، ويُذكَر[11] فيه قضية إبراهيم مع الخمسة ملوك الذين سَبُّوا لُوطًا[12]، وأن الله تعالى أوحى إليه بأنه لا يخاف، لأن محمّدًا عضده، وتُرسه والنص في ذلك في السفر الأول من التوراة:

«هَيَا دَبَرْ أَدُنَيْ إِلْ ابْرَمْ بَامَجّدَيني لِيمُوزْ أَنْ تِيرَا أَبْرَمْ أَنُوخِي مَجَنْ لَخ صَخَارْ خَاصَرَ بي مَاذ».

(1) في ت: من بلادك، ومن مولدك.
(2) في ت: محمد ﷺ.
(3) ما بين المعقوفتين ساقط من: ت.
(4) كلمة فصل تكتب في ت: بفضل.
(5) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(6) في ت: فيه.
(7) انظر الآية في سورة البقرة، آية: 61 قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾... الآية.
(8) (من النص)، ساقط من: ت.
(9) في ت: وقد رسمنا وبيّنا.
(10) في ت: ما.
(11) في ت: ونذكر.
(12) في ت: عليه السلام.

شرحــه:

كان خطاب الله لإبراهيم في الوحي أن قال له: لا تخف يا إبراهيم، أنا ومحمد ترس لك، ويدلّ على ذلك لفظ مَجَنْ الذي في النص لأن عدده ثلاثة وتسعون [لاسم محمد اثنان وتسعون][1] والواحد الباقي من العدد للواحد الباقي سبحانه الفرد الصمد، ويدلّ أيضًا أنه ﷺ أشرف الخلق وأفضلهم، وأعلاهم لأن الله تعالى هَدَّنَ رَوْعَتَهُ، أعني إبراهيم عليه السلام بأنه هو ومحمد ﷺ ترس له لا سيما وهو لم يكن في الوجود، فمَن رزقه الله شيئًا من العقل ونظر في مثل هذا، وتأمّله لا شك أنه يرجع إلى الحق وينقاد إلى الطريقة المُثلى، ومَن سبق[2] له الشقاء والعياذ[3] بالله، فلا ينفعه عقله بشيء، بل يضرّه كل الضرر، ويزيّن له سوء عمله فيراه حسنًا. نعوذ بالله من الخذلان ونسأله العفو والغفران وهو حسبنا ونِعْمَ الوكيل.

فصــل

يذكر فيه[4] لمّا خلق الله سبحانه وتعالى إسحٰق عليه السلام، أخذت سارة غَيرَة، فما زالت تحاول على إبراهيم حتى انتقل بهاجر إلى مكة مع ولدها إسماعيل وكان ذلك سابقًا في علم الله، أن إسماعيل يتربّى في مكة ليُخلَق هناك محمد ﷺ، فلما صرفها إلى مكة، تاهت في الطريق، وعطش إسماعيل فبعث الله إليها مَلَكًا وأرَاهَا ماء زمزم. وقال لها: قومي ارفعي ابنك[5] إسماعيل وسيخرج منه محمد ﷺ. والنص في ذلك من التوراة:

«قُومِي سَاتْ إِثْ هَنَعَرَ يحيى لَجُويْ جَدُولْ اِسَمِيُّ».

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب. وفي ت: خروم.
(2) في أ: سبقه.
(3) كلمة: والعياذ بالله ساقط من: ت.
(4) في ت: أمام كلمة فيه: أنه.
(5) ابنك، ساقط من: ت.

شرحــه[1]:

ارفع الغلام إن محمدًا يخرج منه يدل على ذلك قوله لَجُويْ جَدُولْ، وَهَذَا أيضًا دليلٌ واضح عليهم لا يفتقر إلى بيان لوضوحه فافهمه.

فصــل

يذكر فيه أن إبراهيم عليه السلام أنه كان يصلّي بمكة حسبما شهدت بذلك نصوصهم فمن ذلك:

«وَيسَّعْ أَبْرَمْ هَلُوخْ وَنَسُوعْ هَنْجِبَهْ».

شرحــه:

وكان إبراهيم عليه السلام في أكثر رحيله[2] إنما يرحل إلى مكة، وقوله في النص هَنِجْبَهْ: عَدَدُهُ مكة، فإن قيل ما الدليل في هذا النص؟ فالجواب أن اليهود لعنهم الله يزعمون أنهم على مِلَّةِ إبراهيم وأنهم أولى بها من غيرهم. وإبراهيم عليه السلام كان يُصَلِّي بمكة، ويرحل[3] إليها، وهؤلاء اليهود لعنهم الله تعالى وَدَمَّرَهُمْ لا يذكرون مكة بشفة ولا بلسان، فقد تناقض قولهم[4] مع حالهم واختلّوا. وصارت دعاويهم مجرّدة لا يوافقها عملهم. وقد دَلَّ[5] النَّصُّ أنهم إذًا غير مُتَّبِعِينَ لإبراهيم. والمسلمون وفَّرَهم الله تعالى متّبعون له، وما من أمة تسيرُ إلى مكة وتعمل الرحلة إليها وتعتني بها إلَّا أُمة محمد ﷺ [فهم المتّبعون لإبراهيم وعلى ملّته حقيقة والله وليّ التوفيق][6].

---

(1) في ت: تفسيره.

(2) في أ: رحيله. الإصلاح من: ب وت.

(3) في ب: ويدخل.

(4) ساقط من: ب وت.

(5) في ب، ت: دَلَّ هذا.

(6) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت.

الباب الثاني
في نسخ دينه عليه الصلاة والسلام لجميع الأديان

فصــل

يتبيّن فيه أن الله سبحانه وتعالى قال لموسى عليه السلام[1] سأبعث نبيًا من قرابة بني إسرائيل واسمه محمد، وأنسخ بشريعته شرائعهم، وننسخ السبت بيوم الجمعة والنص في ذلك :

«نبيء أنيم لهم مقرب أخيهم كَمُوخْ وَنَتَيْ دبَرَي يَفَخْ وَدَبِّرْ إليهم إِث كُلْ ابشرا مَوض بنؤا».

شرحــه:

سيقوم نبي [من قرابة إخوان بني إسرائيل وهو نبي][2] مثلي وأجعل خطابي فيه ويتكلم بجميع ما آمُرُهُ به، ويدلّ على اسم محمد ﷺ، قوله في النص: «يَفَخْ»، إذ عدده ثمانية وتسعون يختص منها اسم محمد ﷺ باثنين وتسعين والباقي يدلّ على الجمعة، لأنها في سادس الأيام. وهذه الجملة تدلُّ أن دينه عليه السلام ناسخ لجميع الأديان ولذلك أتينا بهذا الباب، عقب الباب الدّالّ على أنه ﷺ موجود في كتبهم، لأنه ربما قالوا في الباب الأول إنّا نسلّم[3] أنه موجود في كتبنا، ولا نسلّم أن دينه ناسخ لجميع الأديان،

---

(1) في أ: لما بعث.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب، ت.
(3) في أ: لا نسلم. التصحيح من: ب وت.

فيستدلّ عليهم بهذا الباب. وقوله في النص هو نبيءٌ مثلك يَصِحُّ باعتبار أن كل نبيء منهم كريم على الله تعالى، وكون النبي محمد ﷺ، أفضل الأنبياء فمعلوم مقرّر ولا يحتاج إلى شيء. وقوله: وأجعل خطابي في فيه إشارة إلى أنه كان أُمّيًا لا يقرأ[1] ولا يكتب وهو[2] أكبر معجزاته ﷺ، وهذا يدلّ على تصديق استدلالنا وصحّته لأنه لا نبيءَ بعده، ولا نبيءَ على هذه الصفة سواه. وفيه أيضًا دلالة على فَضِيلَتِهِ ﷺ إذ ظهرت[3] على يديه الآيات والمعجزات الخارقات[4] للعادات، لم يظهر على يد نبي من أنبياء الله تعالى، ولم يأتِ بها أحد منهم، مع أنَّهُ ليس من الكاتبين، ولا من الحاسبين.

فصــل

يتبيَّن فيه أن موسى عليه السلام، قال لبني إسرائيل: احضروا بالكمرسياتي في آخر الزمان نَبِيٌّ اسمه مقارن لاسم ربه فاتَّبعوه واسمعوا منه، وأطيعوه والنص في ذلك:

«نَبيءَ مِقَرُ وَبيخ ماميخ كَمُويني يَقيمْ لَمِخَ أَذْنَي آلوهيخ إِلَوْ تَسْمَعُونَ».

شرحــه:

[نَبِيءٌ][5] من قرابة إخوانكم مثلي يبعثه الله رَبُّكُمْ، منه تسمعون[6].

وهذا أيضًا[6] يردُّ عليهم لأنهم يزعمون أنهم مُتَّبعون لموسى عليه السلام، وقد أمرهم باتّباع محمد ﷺ، فلم يتّبعوه، بل كفروا وضلّوا[7] عمّا أمرهم به، وعصوا الجميع لكونهم لم يتّبعوا موسى عليه السلام فيما أمرهم به، ولا محمدًا ﷺ فيما أخبرهم به، ودعاهم إليه.

---

(1) في أ: لا يحسب، الإصلاح من: ب.

(2) في ب: وهي.

(3) في أ: إذ ما ظهر.

(4) في ب: الخارقة. وهي ساقط من: ت.

(5) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.

(6) ساقط من: ب.

(7) في أ: وأضلوا.

فصـــل

يذكر فيه أن في التوراة مذكور أن مَن لم يؤمن ويسمع من النبي ﷺ أن الله خصيمه والنص في ذلك:

«وَهَيَامايشْ أشر أَوْ بَشْمَعْ إِلْ دَبَّرْ وَأَيشرْ يعبَّرْ بشمي أنوخِي إدْرُوشْ مِغمَوٌّ».

شرحـــه:

ويكونُ الشخص الذي لا[1] يسمع من هذا النبي الذي يتكلم باسمي، إني أُعاقبه، ومعنى ما وقع في الشرح أنه يتكلم باسمي، أي أنه في جميع كلامه، وفي أوائل السور: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ولم يوجد في سائر الكتب المنزّلة على الأنبياء عليهم السلام: بسم الله الرّحمٰن الرحيم إلا فيما نزل على الرسول المصطفى ﷺ.

فصـــل

يتبيّن فيه أن أشعياء النبي عليه السلام ذكر في كتابه المُنَزَّل عليه بزعمهم نبوءة سيّدنا محمد ﷺ، وأن دينه ناسخ لجميع الأديان ونصّ ما في كتاب أشعياء من ذلك:

«من عبدي إثموخ، بو نحي، وحشا نفشي لَوّ يروصْ بخيهي وَلُو يَرُوصْ عَنْ بَسِيمْ بِأَرْضْ مِشْبِطْ، وَكثُورَثُو اسم ينجلُّو».

شرحـــه:

هذا عبدي اسمك فيه مصطفاي ومختاري أَجْبَلْتُهُ[2] لجلالي لا يتقلق ولا يجري حتى يجعل في الأرض دينًا، ولشريعته الأُمم ينتظرون، وبيانه أن هذا النبي الذي أمر أشعياء أن يمسك فيه، إنما هو محمد ﷺ لا غيره، لأنه

---

(1) في ب، ت: لم.
(2) في أ، ت: أحببته.

هو المصطفى وهو المختار، وإليه كانت الأُمم تنتظر، وَبَشَّر بِهِ الأنبياء قبل وجوده ولم [يأت][1] بعد أشعياء نبي ولا دين بهذا الوصف، إلا دين محمد ﷺ ودليل هذا في النص: يَنْجَلُّو. إذ هو في العدد أحمد والخمس صلوات، ويوم الجمعة سادس الأيام، وعلى هذا يقع[2] عدد[3] اللفظة المذكورة والله الموفّق.

فصـــل

يذكر فيه أن موسى عليه السلام، أوصى بني إسرائيل أن لا يزيدوا في شريعته ولا يُنقصوا مِنْها والنصّ غير ذلك:

«إثْ كل هَزّ بِزْ أُشِرْ أنخي مصور إثغم إؤُثُو تِشْمَرُونَ لَعُوثْ لُوثُوسَيْفُ عَلَوْ وَلَوْ تِغَرَمْ مَصِنُّوا».

شرحــه:

جميع الأمر الذي نأمركم به [تحفظونه][4] لا تزيدوا عليه ولا تُنقصوا منه، فإن قيل ما وجه مساق هذا النص في نسخ الأديان؟ قلنا إن موسى عليه السلام، أمرهم أن لا يزيدوا في شريعته ولا ينقصوا منها، ومن الذي أمر به في شريعته ألّا يقرّبوا قُربانًا إلا بموضع القدس. ثم إن إليسع عليه السلام قَرَّبَ قربانًا بشمرون، وكان أهلها إذ ذاك يعبدون عجول الذهب من دون الله تعالى، فتقبّل منه قربانه وبين بيت المقدس وشمرون مدة طويلة، واليهود لعنهم الله لم يزالوا يقرّبون قربانهم بِشَمْرون، ورفضوا ما أمرهم به موسى عليه السلام من تقريبها بالقدس فربما احتجّوا وقالوا أُمِرْنَا أن لا نزيد ولا ننقص مما أمرنا به، فيقال لهم: قد زدتم ونقصتم، ويحتجّ[5] عليهم بما قرّرناه. فإمّا أن يلتزموا ذلك أو لا يلتزموه، فإن التزموه لزمهم نَسْخُ دِينِهِمْ،

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب وفي ت: ولم يعلم.
(2) في ب: تقع. وفي ت: وعلى ذلك تقع. (3) ساقط من: ب وت.
(4) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب. (5) في ب: يحتج. وفي ت: نحتج.

وَإنْ لَمْ يلتزموه لَزِمَهُمْ عدم العمل بقضية إليسع، ومما يوضح ذلك، أنهم كانوا[1] يعرضون على أنفسهم أعيادًا ليست في شريعة موسى عليه السلام، ولا في التوراة [التي أُنزلت عليه][2]، فزادوا[3] عيدها، فإن المسمّى عندهم تَوْريم، وقراءة سورة هامان وهي الآن[4] من الفروض الواجبة عليهم. ونصّ ما هم يصلون به في هذا العيد المذكور:

«بَرُوخْ أتَّهْ إلُوهِيتُو مِلَخْ هَنولَمْ أَشِرْ قدح أنو بمَصَوْتُو، وَحِدَّنوا عَلَى مَغْرَ أَمْقِيلَهْ».

شرحـــه:

تبارك الله رَبَّنا ملك العالم الذي خَصَّنَا بفرائضه وفرض علينا قراءة سورة هامان، وَبَيْنَ هامان وزير أردشير، وبين موسى عليه السلام أزيد من ألف سنة، فانظر هذا الذي حكيناه[5]، فإنه يناقض نصّهم الذي أُمِروا فيه أن لا يزيدوا ولا يُنقصوا منه. وانظر هؤلاء الكفّار، هل لهم عقل أو لا عقل لهم يتّبعون أقوال الأغبياء، ويتركون الحق الواضح وهذا ومثله[6] يدلّ على أن[7] كل ما يعتقدُونَهُ فَاسِدٌ، وكذلك جميع ما في توراتهم، أنهم لا يؤمنون على شيء وقد تناقضوا أيضًا في محل آخر، وذلك في توراتهم أنهم أُمِرُوا بأن لا يخرج أحد منهم يوم السبت ولا يتحرك من مكانه، وما عندهم في ذلك إباحة، ثم إن علماءهم أباحوا لهم أن يجعلوا خشبة في دورهم لتُبيح لهم الخروج، ويعتقدون أن ذلك فرضًا[8] عليهم، وهذا تناقض أعظم من الأول، وكون الخشبة تُبيح لهم الخروج هذا غير معقول المعنى، بل يعبثون، ويعتقدون اعتقادًا فاسدًا، ويتّبعون أهواءهم، ويقولون نحن مُتَّبِعُونَ لموسى عليه السلام، وهم كاذبون، وكذلك أُمِرُوا بأن لا يُشعِلوا نارًا يوم السبت،

(1) ساقط من: ب.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت.
(3) في ب: وزادوا.
(4) في ب: عندهم من.
(5) في ب، ت: حكينا عنهم.
(6) في ب، ت: وأمثاله.
(7) أنّ ساقط من: ب.
(8) في ب، ت: فُرِضَ.

فأباح لهم علماؤهم أن يُشعِلوا القناديل، ولا أدري من أين جاءهم هذا. وكذلك يجعلون[1] بعض السِّنِينَ أزيد من بعض، فيجعلون العام من ثلاثة عشر شهرًا، لِتَجِيءَ أعْيَادُهم في الأوقات الحسنة الموافقة لأغراضهم، فيُعيدون في غير محل، فهذه مثلة وضحكة، وليست من دينهم في شيء، وقد سبق عليهم قول أرمياء عليه السلام حيث قال ما نصّه:

«أبرهاء يَمُونَا واتحرتا مبيهم».

شرحــه:

قد دمَّر إيمانهم، وانقطع من بينهم[2]، [فنعوذ بالله من قوم تقبل عقولهم هذا ومثله، وينسخون ما في توراتهم بهذه المضحكات، ولا يوافقون على نسخ دينهم][3]، فنسأله جَلَّ وعَلَا أن يَمْحُو رَسْمَهُمْ وأن يذهب عمرهم، إذ لم يتّبعوا الطريقة المُثلى، والمحجَّة[4] المستقيمة، فللّه الحمد دائمًا متواليًا، والشكر مستمِرًا [رائحًا وغاديًا][5] حيث أرشدنا إلـه الحق المستقيم والدين القويم، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

(1) في ب: يجلسون وهو خطأ.
(2) في ب: أفواههم.
(3) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت.
(4) في ب: ولا الحجة.
(5) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب. وفي ت: دائمًا.

الباب الثالث
في بيان تجسيم اليهود لعنهم الله وشركهم بالله تعالى

اعلم وفّقنا الله وإياك أن في توراتهم ما نصّه:

«نفس أَدَمْ بِطَلَمِيقْ كِدَمُواْ ثِينُواْ».

شرحــه:

وقال الله: أصنع بني آدم كَصُورَتِنَا كشبهنا، وفي هذا تجسيم لا يحتاج إلى دليل لأنهم جعلوا الله صورة وشبهًا، والله عزّ وجلّ منزَّه عن النظائر والأشباه سبحانه وتعالى عَمَّا يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا، وهذا أقرب ما عندهم من الكفر لأنهم رُبَّما قالوا: إن الإضافة في ذلك، إضافة ملك كقوله هذا عمل الله [وهذا خلق الله][1]، وفي هذا[2] من التكليف على ما لا يخفى على[3] ذي عقل لَا سِيَّمَا في قولهم: كشبهنا فإن التأويل فيه بعيد جدًّا، ولكن سيأتي ما هو أبشع[4] وأقبح[5] وأفظع[6]، وهذا يدل على أن توراتهم التي بأيديهم مبدّلة دَمّرهم الله تعالى [ولعنهم. ومما في توراتهم المبدلة نسبتهم العدم إلى الله تعالى ونصّهم في ذلك][7]:

«وَيَنَّاحِخْ أذنيْ كيشى عَسَى إِثْ لَهَادَم بِأَرْصْ وَيَنْعُصِبْ إِلْ لِبُّو».

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من أ. الإضافة من: ب والطبعة الحجرية المرموز لها بحرف: ح وت.

(2) في ت: ذلك.

(3) في ب: عن.

(4) في ب: أشنع.

(5) وأقبح ساقط من: ب وت.

(6) في أ: وأفضح. الإصلاح من: ب وت.

(7) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت.

شرحــه:

وندم الله الذي خلق الآدميين [في الأرض][1] وتغيّر في قلبه، وهذا نص قطع [باب][2] التأويل، وسدّ المخارج، وَضَلُّوا، وكفروا لعنهم الله من وجوه:

ـ أَحَدهَا[3]: نَسَبُوا إليه تبارك وتعالى الندم والتغيير، وذلك من صفة المحدثات.

ـ الثاني: نفي العلم عنه سبحانه وتعالى. والله عزَّ وجلّ عالِم بالأشياء قبل كونها، وقبل تَصَوُّرِها لا يعزب عنه مثقال ذَرَّة في الأرض ولا في السماء. فكيف ينسب إليه الندم وهو سبحانه وتعالى بيده ملكوتُ كُلِّ شيء، ولا يكونُ في السمٰوات والأرض شيء إلا بقضائه وقدره.

ـ الثالث: أنهم جعلوا لله قلبًا تعالى الله عزَّ وجل عن ذلك.

فصــل

يتبيَّن فيه أنهم نسبوا إليه تعالى شَمَّ الرائحة، ونصّهم في ذلك في قصة نوح عليه السلام حين قَرَّبَ القُرْبَانَ:

«وبارح أذني إث رِيخ هَنِّيجُوَخ».

شرحــه:

وَشَمَّ اللهُ الرائحة المهداة ويعتقدون لعنهم الله تعالى أن ذلك بحاسّة وهو كفر صُراحٌ تعالى الله عن ذلك. ومنها أنهم يزعمون أنّ الله تعالى هبط إلى الأرض. ونصّهم في ذلك في قصة قوم لوط عليه السلام:

«إيرزدِنَّ وإزَايْ هَدْ صَعْقَتُهُ هُبَّاهْ إلى عَسُوكَلَا وَإمْ لو إدَاعَهْ».

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب، ح وت.
(3) في ت: منها أنهم.

شرحــه:

يهبط إلى الأرض وترى هذا المزاح هل عملوه بأفنيتهم، وإلا فاعلم الحق، وهذا كفر بألفاظ خبيثة[1] تنبىء بنفي العلم عن الله تبارك وتعالى من أنه[2] لا يدري الحق حتى يهبط إلى الأرض ويستخبرهم[3] فنعوذ بالله من أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم[4] وأعمالهم الخبيثة التي لا تليق إلا بالكَفَرَة أمثالهم.

فصــل

يذكر فيه أنهم ينسبون للجليل جَلَّ جَلَالُهُ أبناءً وبنين وزوجة، تعالى الله مولانا عن ذلك. ونصّهم في البنين:

«بَنِيمْ أَتِمْ لَاذْ نَبِي إِلُوهِيجْ».

شرحــه:

بنون أنتم لله ربكم ومنه نص آخر:

«وامرن إلى فرعون كِدُ أَمَرْ أَذُنَيْ يَخُورِي إسرائيل».

شرحــه:

وتقولون[5] هكذا قال الله ابني بكر إسرائل يعنون أنَّ الله سبحانه وتعالى له بنون جملة، وأن إسرائيل أكبرهم وأفضلهم، يَدُلُّ عليه البكر في النصّ الثاني، ونصّ الزوجة في كتاب أشعياء حيث يقول:

«كُو أَمَرْ أَذُنَيْ أَزِي سيفر كَرِتُوثْ أَمخَغْ أَشِرْ شلحتِهَا».

شرحــه:

هكذا قال الله أين عقد طَلَاق أُمُكُمْ التي طلقتها، وكأن هذا الكلام

---

(1) في ت: خبيثة سيئة. (2) في ب: وأنه.
(3) في أ: ويستخبره. الإصلاح من: ب وت.
(4) في ب: اعتقادهم. وفي ت: وألفاظهم. (5) في ب، ت: وتقولون لفرعون.

مراده استفهام الطلاق، وأنَّهُ يقول تعالى عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا: إن صَدَّقتم في طلاقي إيَّاها فأتوني بِصَكٍّ طَلَاقِهَا، أو أنه طلّقها واستفهم عن رسم طلاقها. وفي موضع آخر أنه طلَّقها وأبغضها، والنصُّ في ذلك:

«سنيتها وإثر إنْ سَيفَرْ كريثوثيها إلَيْهَا».

شرحــه:

بغضتها وطلّقتها وأعطيتها عند طلاقها، فانظر هذا الكفر الفاحش الذي لا يقبل التأويل، وهو من أعظم العظائم وأجرم الجرائم، ولولا الضرورة الداعية إلى تقرير اعتقاداتهم(1) وكشف سرائرهم(2) [لِيُعْلَمَ مَا هم عليه](3)، وأن هذا مما تضرب(4) به الجزية عليهم، وأن المسلمين وَفَّرَهُمُ الله يرون أنَّهُمْ لا يُبالغون في الكفر هذه المبالغة لا ينبغي أن تذكر بلسان، ولا يحكيه إنسان، لأنه لا يحتاج إلى الزوجة، والابن، إلا الفقير المحتاج الملتجىء لغيره والله تعالى غنيٌّ على الإطلاق لم يتخذ صاحبة ولا وَلَدًا ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾(5).

فصــل

يذكر فيه أنهم زعموا أنَّ موسى وهارون عليهما السلام، وَنَادِبْ، واليهود أولاد هارون، وسبعون من أشياخ بني إسرائيل رأوا الله تعالى وهو جالس، وتحت ساقه موضع مفروش بِآجُرٍّ من ياقوت وهم بالجبل. ونصّهم في ذلك:

«وَبَرابِت ألوهي إسرائيل وَمَاحَتْ رَغْلُو كمعسي كتَبِتْ هَسِّيرْ رَخَوْهم هَشْمَائِمْ لَطُوهَرْ».

(1) في ب، ت: اعتقادهم. (2) في ب: أسرارهم.

(3) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت.

(4) في أ: لا تضرب. الإصلاح من: ب. وفي ت: خروم.

(5) سورة مريم، آية: 93.

شرحــه:

ورأوا الله بنو إسرائيل وتحت ساقيه[1] [موضع][2] مفروش بآجُرٍّ من ياقوت، وكنفاد السّماء للمطر وهذا الفحش أشنع من الذي قبل، ولا شك أن مَن رزقه الله عقلًا يميّز به أدنى تمييز يعلم أن هذا باطل محض وكفر صريح.

فصــل

يذكر فيه أن اليهود لعنهم الله، زعموا أن الله سبحانه وتعالى أمرهم أن يصنعوا له قبّة ليسكن معهم فيها. وَنَصُّهُمْ في ذلك:

«وعسولي مِقْرَشْ وَشَاخْنتي بَتُوخَمْ».

شرحــه:

اصنعوا لي قُبَّةً لأسكن معكم فيها. فانظروا إلى أقوال هؤلاء الكَفَرَة، هل يقبلها عقل أو يمكن أن ينطق بها لسان أو تختلج في صدر إنسان، وما أعلم[3] أحدًا [ولا أعلمهُ][4] من الطوائف يكفر بهذا النوع لعنهم الله تعالى وأخزاهم.

فصــل

يذكر فيه أنهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى أوصى موسى عليه السلام أن يُعمل له[5] في القبَّة صورتين من ذهب على صورة وَلَدَيْنِ صغيرين سَمَّاهما كَرُووِيمْ يعني صبيانًا وفي توراتهم التي هي الآن بأيديهم وحاشى لله

(1) في أ: ساقه. الإصلاح من: ب وت.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ، ب. الزيادة من: ح وت.
(3) في ب: وما أظن.
(4) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب.
(5) له ساقط من: أ. الزيادة من: ب.

أن يكون في التوراة أن الوحي كان يأتي موسى من بين الصورتين وأنه كان يخاطبه من هنالك ونصّهم في ذلك:

«ونوعد تي لخم شَمْ وَدَيِّرَتِي إتَخْ مِتِهْلِ هَلَبُّواريتْ مِبِير شَنِي هَكْذُوييم إتْ كُلّ أَشِرْ أَصَوبي لاوَتِخْ آل بني إسرائيل».

شرحــه:

[وقال الله لموسى سأحضر معك في القبة وأُخاطبك من أعلى الغشاء من بين الصورتين اللتين على صنوف الشهادة فالذي آمرك به لبني إسرائيل، وفي الثاني من العشر كلمات ما نصه:

«لُوتعسي لخ بيصل وَخُذْثمونا أَشِرْ بِشَمَائِمِ بِمَا عَلْ وَأَشِرْ بِأَرِضْ مَتَّاحَتْ»][1].

شرحــه:

لا تضع شكلًا ولا شبهًا مما في السماء وما في الأرض، فانظر هذا النص مع الذي قبله فيهما تناقض [مفرط][2] وضلال واضح، وهو قولهم اصنعوا، ثم قال: لا تصنعوا وهذا الذي قرّرناه مبني على فساد دينهم وسوء معتقدهم، ويدلّ أيضًا على أن توراتهم التي بأيديهم ليست من كلام الله وإنما هي وضع كذاب مُفْتَرٍ على الله، وَضْع فاسق مُجترىء على الله لا يؤمن بيوم الحساب، ولو علم أنه مُخَلَّدٌ[3] في النار أبدًا لما اجترأ على الله هذا الاجتراء العظيم الذي يقطع عليه فيه بالخسران العظيم والعذاب الأليم، ولتعلم أن هذا التناقض الذي ألزمناهم والرهط الذي أرهطناهم لا محيد لهم عنه بوجه ولا بحال، وقُصارى ما يُجاب به في هذا المحل أن يقال أحد النصَّين لما[4] يخصص الآخر وإما ينتسخه، إلا أنهم لا يرون نسخًا ولا تخصيصًا فانسدّت

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ. الزيادة من: ب، ح.
(3) في ب: يخلد.
(4) لما ساقط من: ب.

بسبب ذلك عليهم الأبواب وخرسوا عن الجواب وحقّ عليهم العذاب والله سبحانه وتعالى هو الموفّق للصواب.

فصــــل

يتبيّن فيه[1] أنهم أمروا يوم عاشوراء أن يقرّبوا عنزين أحدهما لله والآخر لعزازيل ونصح في ذلك:

«جُورَلْ ءَاحِزْ لأذني رَجورَلْ أحد لِعَزَازِيلْ».

شرحــــه:

سهمًا واحدًا لله، وسهمًا واحدًا لعزازيل[2] لعنه الله، ولعنهم جميعًا وأعدَّ لهم جهنم وساءت مصيرًا.

فصــــل

يتبيّن فيه أنهم أُمِروا أن يُقرِّبوا القُربان بالخمر والنص في ذلك:

«يَا بِنْ للنسخ ويبعث هَهِينْ تقريب رِيخ يحُوخ لاذني».

شرحــــه:

وَخَمْرُ القُرْبَانِ ثُلُثُ قُلَّة تَقَرُّبٌ مَقْبُولٌ مرضي لله، يَعْنُونَ[3] أن الله تعالى أمرهم بها وأنه يحب رائحتها، وقد قدّمنا ما عندهم من النسبة لله تعالى من حاسّة الشم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فصــــل

يتبيّن فيه أن اليهود لعنهم الله تعالى عبّاد النار وأن إلٰههم النار والنصّ في ذلك:

«كي أُذُنَيْ إِلُوهِيخَ إِشْ أوخلاهو».

---

(1) في أ: فيهم. وفي ب وت: فيه.

(2) في ب، ت: وهو الشيطان لعنه الله تعالى ولعنهم.

(3) في ت: يعني.

شرحــه:

إن الله ربكم نار محرقة هو، فقد اختاروا لأنفسهم عبادة النار، فكان مصيرهم إليها وبئس القرار، ونحن المسلمون[1] اخترنا عبادة الله وحده لا شريك له وآمنّا بجميع الرُسُل لا نفرّق بين أحد من رُسُله، لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فيكون مصيرنا إن شاء الله إلى جنّة الرضوان، ويُجازينا فيها بالنعيم الدائم [والحور والولدان][2] حسبما وعدنا بذلك[3] على لسان نبيّه ورسوله محمد ﷺ المختار المصطفى من بني عدنان، وهؤلاء اليهود لعنهم الله ليس في توراتهم التي بأيديهم الآن ذكر للجنة ولا للنار، وهذا دليل واضح على أن توراتهم مُبَدَّلَةٌ ليست من كلام الله تعالى ولا من عنده سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، والحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، واتّباع شريعة سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[4].

(1) في أ: المسلمين. وفي ب، ح،ت: المسلمون.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب وت. (3) في ب: في ذلك.
(4) سورة آل عمران، آية: 154.

الباب الرابع

في وقوعهم في الأنبياء عليهم السلام ودعائهم على المسلمين وملوكهم

اعلم أن اليهود لعنهم الله تعالى، زعموا أن هذه التوراة التي بأيديهم هي المُنَزَّلة على موسى عليه السلام وفيها ما أسرُده الآن من سبّ الأنبياء ونسبة الفواحش إليهم مما لا يخطر ببال، ولا يعبّر عنه مقال، ولا يتوهمُ على حال، وما أظن المسلمين ولا أحدًا منهم يعتقدون قطّ في اليهود ما أذكر[1] عنهم في الأنبياء وما دخل معهم[2] على ذلك. ولا ضربت عليهم الجزية على مثله ولا ينبغي أن [تضرب عليهم معه][3]، لأنّ ما وقعوا فيه مما لا يحلُّ أن يُترَكوا عليه، ولا يمكن ذلك بوجه ولا بحال، وما لهذا[4] الدّاء [من][3] دواء، إلا بَشْرُوهُ[5] من كتبهم ومحوه من صحائفهم، حتى لا يبقى فيها من هذا الكفر شيء، ويكون ذلك[6] فائدة وأجْرًا عظيمًا وثوابًا جسيمًا، وأيُّ فائدة أكبرُ من إعفائه وزواله، أم أيّ أجْر أعظم من محو الكفر واضمحلاله وقد زعموا لعنهم الله أن من الفروض الواجبة عليهم في صلواتهم[7] سَبُّ المسلمين والدعاء عليهم وعلى ملوكهم وعلى كل مَن ليس منهم، وقد انعكس والحمد لله دعاؤهم عليهم، فلزمهم الذّلّ

---

(1) في ت، ح: ما أذكره.
(2) في ب: أحد معهم.
(3) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(4) في ب: هذا.
(5) في ب: ابتده.
(6) إسقاط ذلك من: ب. وفي ت: ويكون فيه إذ ذاك.
(7) ساقط من: ب.

والصَّغار، واللعنة والامتهان، وَحَقَّ عليهم الخلود في النيران، وها أنا أُفسِّر ذلك إن شاء الله. فأقول: إنهم وقعوا في نبيّ الله لوط عليه السلام، وقالوا[1] إنه شرب الخمر، وسكر، ووقع على بناته وحملن منه وتزايد له منهنّ ابنان[2]، اسم أحدهما: عمون واسم الآخر مران[3] ونصّهم في ذلك:

«ومهوين شنىء بَنُوتْ لُوطْ مِئَابِيهِمْ».

شرحـــه:

حملت[4] كلتا بنتي لوط من أبيهما، فانظر إلى هذه الأقوال الشنيعة المُفْتَراة التي لا تليق إلا بالكَفَرَة أمثالهم، والعجب كل العجب ما منهم أحد[5] إلا وهو يُنَزِّه نفسه عن[6] الوقوع في مثل هذا، وهو جدير به، فكيف ينسبه لنبي من أنبياء[7] الله تعالى فالحمد لله الذي أدخلنا في زُمرة المسلمين وأخرجنا من عصابة الكافرين[8]، ومما وقعوا فيه أيضًا أن قالوا في يَهُودَا بن يعقوب عليهما السلام ضاجع بنْتَهُ تَامُرْ، وتزايد له منها ولدان اسم أحدهما بارس، واسم الآخر زَيْرَحْ، وينسبون لبارس بن داود عليه السلام ولزيرح كثيرًا من الأنبياء، وهذا كالذي قبله وأفحش منه، والنص عندهم في ذلك مشهور.

ومما وقعوا فيه أيضًا أن قالوا عن عمران والد موسى عليه السلام أنه وَاقَعَ عَمَّتَهُ أُختَ أبيه وتزايد له منها موسى وهارون ومريم ونصّهم في ذلك:

«ويقح عَمْدَمْ إِتْ يُوخَبِيد دُوحَتُواْ لُولَاشَهْ».

---

(1) في ب: وقالوا فيه.
(2) في ب: ابنتان.
(3) ساقط من: ب.
(4) في ح: وحملت.
(5) في ب: كافر.
(6) في ب: على.
(7) في ح: الأنبياء.
(8) ساقط من: ح.

شرحـــه:

واقَعَ عمران عمّته يُوخَيْبِيذْ عَن زوجه وولدت له هارون وموسى ومريم، وهذا مثل ما قبله. ومما وقعوا فيه أيضًا أنهم نسبوا لموسى وهارون عليهما السلام في توراتهم أنهما لم يؤمنا بالله عزَّ وجل تعالى الله عن قولهم، ونصّهم في ذلك:

«وَيُومِرْ أَدُنَيْ إِلْ مُوسَى وَإِلْ هَارُون يَاعَنْ لُوهِنَا مُنْتِمْ فِي أَهَنْدِ شيئِنِي لعيني بني إسرائيل لَخِنْ لُدنيوا إِلْ هَغَهَلْ هَرِذْ إِلْ هَارِصْ أَشِرْ يَشِيبَيتِي كيهمْ».

شرحـــه:

وقال الله لموسى وهارون كما أنكما لم تؤمنا بي، ولم تقدّساني فيما بين بني إسرائيل، لا تدخلا مع هذا الشعب الأرض التي وعدتهم بها يعنون أن بلاد الشام عظيمة. ولذلك لم يدفنا بها بل دفنا في التِّيه مع العُصاة. وهذا افتراء على الله تعالى وعلى رُسُله عليهم السلام، ولم يبقَ لهم ما يعتمدون عليه، ولا ما يرجعون إليه إذْ وقعوا في نبيِّهم ورَسُولِهِمْ موسى كَليم الله عليه السلام الذي[1] ليس لهم اعتماد إلا عليه [ولا لهم مرجع إلا إليه][2]، فقد خرجوا لعنهم الله عن كل مِلَّةٍ، وامتازوا عن كل أُمَّةٍ، وكفروا بالله وبرسوله[3]، وما جاسوا[4] أحدًا منهم بتخصيص عدم إيمانهم بسيِّدنا محمد ﷺ خطأ وغلط وجهل يكفي في كفرهم وخداعهم ومكرهم وقذفهم نبي الله ورسوله موسى عليه السلام [فهو][5] أدهى وأمرّ، إذ نسبوا له الكفر وقد وقعوا أيضًا في أخيه نبي الله ورسوله هارون عليه السلام وخصَّصوه بعمل العجل وعبادته ونصّهم في ذلك:

«ويجوى أُذني إِثْ مَعَمَّ عَلْ أَشِرْ عَسُو إِثْ هَعِيقِلْ إِثْ عَسَال هَارون».

(1) في ح: والذي.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(3) في ب: ورسوله.
(4) في ب: حاشوا.
(5) ما بين المعقوفتين زائد من: ح.

شرحــه:

وغضب الله على بَنِي إسرائيل، كما عبدوا العجل الذي صنعه هارون. وهذا في الكفر كالذي قبله. ومما وقعوا فيه الدعاء على المسلمين وعلى ملوكهم، وعلى كل مَن ليس منهم، وعلى كل مَن يخرج من دينهم ونصّهم في ذلك:

«لَا مَشَمَّادِيْم إِلْ نَنِي تَعْوَهْ وَخُلْ هَمِيمْ كَرِيقَعْ يُوبِيدْ ورحلوا ويبينُواْ وَخُلْ سُونَا نبئوا مَهِيرَهْ كِكَارِيثُو وَمَلَخُوتْ رَدُونْ مهيرة تَشْبَرْ وتخْنيغْ بمهيدَه بِيمِو بَرُوخْ إِنَّا أذني شُو بِر أَيْسِيَمْ، وَمُخْنِيغْ زِيربَحْ».

شرحــه:

الخارجون عن ديننا لا يكونون رجاء، وغير المعتقدين لديننا في طرفة عين يُبادون، وجميع أعدائنا والباغضين لنا في الحين يفنون، والمملكة القاهرة لنا اكْسِرْها وأفنها في أيامنا يا إلٰه، اكْسِرِ الأعداء وهرِّب الأوْقاحَ.

هذه أعزّكم الله صلاتهم التي بها يتعبدون، وعبادتهم التي بها يتقرّبون، ودعاؤهم الذي يظنون أنهم به للمسلمين يعنون[1]، ولأعدائهم كافّة يبيدون، وهي عائدة عليهم بالذّلّ والهَوَان، والخزي واللعنة إلى يوم يُبعَثون، وإلى جهنم يُحشَرون. ومن الفرائض الواجبة عليهم المنصوصة في توراتهم المُبدَّلَة إدخال الرِّبا والغش على المسلمين ونصّهم في ذلك:

«لتحرتشيخْ وَلاحِيخْ لُوتْشِيخْ».

شرحــه:

للمسلم تُربون، ولأخيكم لا تُرْبون. وكذلك في توراتهم المُبدلة أنهم لا يأكلون الطريف، وأن الحكم فيه عندهم رَمْيُهُ للكلاب ونصّهم في ذلك:

«وَبَسَرْ بَشَادِي طَرِيفة لُوثو خيلُو للكليب تشلخونْ أُوثوا».

---

(1) في أ: يفنون.

شرحـــه:

لحم الطريف لا تأكلوه بل للكلب ترموه فجعل علماؤهم لفظ [الكلب][1] شامل للمسلمين [ومَن ليس منهم وأنه لا فرق بينهم وبين الكلاب في ذلك، وأباحوا لهم بيعه للمسلمين][2] وإن لم يشتروه المسلمون فيرموه للكلاب، فلو ترك المسلمون وَفَّرَهُمُ اللهُ شِراءَه منهم لكان حسنًا وفيه فوائد، أحَدُها إظهار بغضهم له[3] واتّقاء[4] مما هم فيه والبُعْد من صفقاتهم[5] الفاسدة ومن كراهة ما كرهوه ونصّهم في ذلك:

«وَهَجّويْ هَوِهُوَ ككليب».

شرحـــه:

ما تقدّم. ولو تتبَّعنا مَسَاوِيَهُمْ وأنواع كفرهم لطال بنا الكلام لَكِنَّا اقتصرنا على هذا القدر كراهة للإكثار من ذلك. إذ المقصود من هذا التأليف التنبيه فقط ما هم عليه على سبيل الاختصار، والله الموفّق للصواب.

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من: أ، ب. الزيادة من: ح.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من أ. الزيادة من: ب، ح.
(3) في ح: لهم.
(4) في ح: إهانتهم.
(5) في ح: صفقتهم.

الباب الخامس
فيما في توراتهم وسائر كتبهم
من تعظيم النبي ﷺ

اعلموا رحمكم الله أن النبي ﷺ مُعَظَّم في صلواتهم حسبما كان يصلّي نبي الله دانيال عليه السلام وأصحابه حيث كانوا في ثقاف بختنصّر وكانوا يتشفعون بالنبي ﷺ واليهود لعنهم الله اتخذوا تلك الصلاة في يوم السبت وفي الأعياد إلا أنهم لا يقرّون بذلك.

فصـــل

يتبيَّن فيه ما في كتبهم من حديث الإسراء بالنبي ﷺ ونصّهم في ذلك:

«وَارَو عَم عَنَنِي شمِمِيَا كبر إينشْ أنني هَوَاوَعِدْ عتيق يوميامَضَا وَقَرَمُوهِي هِقرَبَوَ هِي».

شرحــه:

ورأيت عند سحاب[1] السماء كابن آدم طالع محمد هو[2] ووصل إلى الرب الأعلى[3] وبين يديه تقرّب. معنى ذلك أن النبي دانيال رأى في وحيه ليلة الإسراء نَبِيّنا محمدًا ﷺ ويدلّ على اسمه ﷺ هَوَاوَعِدْ إذْ عَدَدُهُ (كعدد)[4] محمد ﷺ، ثم عقَّب دانيال بنص آخر:

---

(1) في: ب، ح: سحائب. (2) هو: ساقط من: ح.

(3) في ب، ح: الأزلي.

(4) ما بين قوسين ساقط من: أ. الزيادة من: ح، ب.

«وَلِيهْ يهبب شلطان ويقروُ مَلْخُواْ وَخُلْ عَمِمِيًا أُمِيًا وَمِشَالِيَالِيهْ يفلحون شَلَطِينهْ شُلْطَنْ عَلَمْ ذِي لَا يَقدَمْ وَمَلَخُوَاتِيهْ لَا تَتَخَبَّلْ».

شرحـــه:

ولمحمد ﷺ تُعطَى العزَّة والمملكة وكثرة الأُمم، والشعب والألسُن لدينه يرجعون، وَدِينُهُ ثابت لا يزول، ورياسة أُمَّتِهِ لا تفسد ولا تحول.

فصـــل

يدلّ على أن أرمياءَ عليه السلام أخبر بسيد المرسلين سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمد ﷺ وعلى الأنبياء أجمعين، أنه يَسْرِي به والنَّصُّ في ذلك:

«وهيا إدير وممنّو وموشو مِقرنُو بِهِي وَمِقْرَبَتِيقْ ونخش إلو كي دِي هُوَازِيي عَارَبْ إِتْ لِبَوَا لُفِينَشِتْ إِلَيْ مام أدني».

شرحـــه:

وتكون الجلالة منه والافتخام من صميم فؤاده بقربته ودنا إليّ ومحمد أشجع قلبه للتقريب إليّ، يقول الربُّ. معناه أن النبي ﷺ زاد على جميع الأنبياء في الجلالة(1) والرِّفعة والمقدار لأنه ليس فيهم مَن وصل إلى العرش سواه، ويدلّ على ذلك في النص: «كِي دِي هُوَازِيي» إذ عدده كعدد محمد ﷺ وهو كذلك.

فصـــل

يتبيَّن فيه أن عزيرًا عليه السلام خاتم الكتب المنزلة في التوراة أنْبأ أن سيد المرسلين وخاتم النبيئين محمدًا ﷺ، يبعث في آخر الزمان وَيُسَمَّى الرسول المعهود، والنص في ذلك:

«هَنَنِي سُولَخْ مَلَاخِي، ويناديوخ لفني وفتام ينوال هَيْكَلْ هَادُون أَشْرَاتِمْ مَبْقَشِيمْ وَمُلَاك هَبْرِيتْ أَشِرَالم صَفْعِيمْ بَنِي بَا امرأَذْنَي مَبَاءُوثْ».

---

(1) في ب: الجلالة والتعظيم.

شرحــه:

جاءنا باعث رسولي ينقي[1] الطريق بين يدي وفي غفلة يأتي إلى مكة السيد الذي أنتم طالبون محمد الذي يأمر بالخمس الصلوات الذي أنتم له محبّون هَا هُوَ ذَا يأتي، [قال اللهُ رَبُّ الجيُوشِ][2]. ومعنى ذلك أن الله تعالى يبعث الرسول محمدًا ﷺ، وأنه ينقّي الطريق، وينقّي الكفر، ويدل على قوله: وفي غفلة يأتي إلى مكة، قوله في النص: «وفتام ينوال هيكل» مكّة، وقوله: الرسول المعهود إشارة إلى العهد به في أول الخلق والدليل أن محمدًا هو المعهود، قوله في النص: «وملاك هبريت»، ويدل[3] على[4] اسم محمد ﷺ وملاك إذ عدده: محمد، والخمس صلوات. ونص صلاتهم المرتبة عندهم في السبت، والأعياد، وفيها تعظيم محمد ﷺ:

«إلْ ذُونْ عَلْ كُلْ هُمَّغْسِيمْ بَرُوخْ ومَبْرُوخْ يَفْنِي هَنِيشْمَهْ».

شرحــه:

السيد على جميع المخلوقين هو محمد قد بارك[5] في فَمِ كُلِّ مخلوق. يدلّ على محمد: «إلْ ذونْ» إذ عدده: اثنان وتسعون ومحمد ﷺ اسمه كذلك عدده. ومما في صلاتهم أن الشمس والقمر يَمْدَحَانِ أحمد، والنص في ذلك:

«طُوييمْ مَاوروتْ شَبْرَا أوْ لُوهِينُوا مَلْثِيمْ زِيُو ومفيقِم نُجَهْ».

شرحــه:

ما أجود الأنوار التي خلق ربنا، يضيئون ويمدحون أحمد. هذا في صلاتهم المفروضة عليهم فانظر لِمَا هُمْ فيه هَؤُلَاءِ الكَفَرَة من الجحد، ويدلّ

---

(1) في بي: يبين.
(2) ما بين المعقوفتين ساقط من: ب.
(3) في ح: فيدل.
(4) في ب: عليه.
(5) في ح، ب: باركه.

على أحمد «نُجَهْ» إذ عدده ثمانية وخمسون يختصُّ منها اسم أحمد بثلاثة وخمسين والخمسة الباقية تدلّ على ما جاء به من الصلوات الخمس، ويريد بقوله ما أجود الأنوار الشمس والقمر. ومما وقع في كتاب أشعياء عليه السلام، أنه قال: البركة بركة محمد ﷺ، والحالف بالحق، إنما يحلف باسم الله، واسم محمد، والنص في ذلك:

«أَشِزهَشْبُوخْ بِأَرضْ يَشبَرَخْ بَالُوهِي لا من وَهَيشْبَعْ بأَرْضْ يَشْبَعْ بَالُوهِي أَأَمِزْ».

شرحـــه:

ما تقدّم. ويدلّ على اسم محمد ﷺ أَأَمِزْ الذي في النص. فهذه أعَزَّكُمُ الله تعالى أدلة وَاضِحةٌ وتنبيهاتٌ صحيحة مختصرة على حسب الوسع والقدرة والتيسير فإن وجد في سَرْدِ[1] معانيها فتورٌ وألفي فيها قصور، فعذري أربعون سنة تقدمت في البطالة من عمري، وإني أتيت بهذا الباب أخيرًا للتبرّك بذكر سيدنا[2] ومولانا محمد ﷺ ليكون هو[3] المُبتدى والمُنتهى وإن[4] المقصود الأعظم من هذا التأليف الأعز[5] إنما هو بيان جَحْدِهِمْ للنبي ﷺ، وإنه لثابت في كتبهم فكان البدء به أولًا أولى[6] وأوجب، والختم به آخرًا، أشكل وأنسب، ولنقتصر[7] على هذا القدر من الكلام، ونسأله جَلَّ وَعَلَا التوفيق لما يهدي إلى دار السلام، وأختم هذا القول بشكر الله وحمده وترديد الصلاة على سيّدنا ومولانا محمد نبيّه وعبده، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم[8] من بعده، وسلّم تسليمًا كثيرًا أبَدَ الآبدين.

---

(1) في أ: رد.
(2) في ح: سيدنا ونبينا.
(3) إسقاط هو من: ح.
(4) في ح: ولأن.
(5) الأعز ساقط من: ب.
(6) أولى ساقط من ح.
(7) في ب: فلنقتصر.
(8) في ح: له.

انتهى بحمد الله [وحُسْنِ عونه وتوفيقه الجميل وصلّى الله على سيّدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وذرّيّته الطيّبين الطاهرين المطهّرين كثيرًا طيبًا دائمًا بدوام ربّ السمٰوات والأرضين والحمد لله ربّ العالمين][1] اهـ.

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من: ح، ب.

الرَّدُّ على مَنْ قَالَ بأفضليّةِ بني إسْرَائِيل عَلَى العَرَبِ

تأليف

السّلطَان العُلوي الشّرَيف أبي الربيع سُليمان
ابن محمّد بن عبد الله بن إسماعيل
المتوفّى سنة ١٢٣٨هـ

دراسة وتحقيق
عبد المجيد خيالي
خرّيج دار الحديث الحسنية بالرباط

ترجمة المؤلِّف[1]

ولادته ونشأته:

هو أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل السلطان العلوي الشريف العالِم الصالح الورع. وُلِدَ سنة 1180 هـ/ 1767 م، نشأ في حجر والده الملك الهمام السلطان سيدي محمد الثالث الذي ربّاه على الميل لاتّباع السُّنَّة والعناية بها، فأثمر غَرْسُهُ، وأينعت معارفُهُ، فكان ثمرة ناضجة لأبيه وشعبه.

---

(1) انظر ترجمة المؤلف في المراجع التالية:

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد الناصري: 8/ 86 ـ 174.
- الأعلام للزركلي: 3/ 197 ـ 198.
- البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف لأبي قاسم الزياني عدد 1577 د، ص: 162 الخزانة العامة الرباط.
- تاريخ الضعيف الرباطي: 2/ 439 ـ 750.
- الترجمانة الكبرى لأبي قاسم الزياني ص: 547، 570، 571.
- جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان لأبي قاسم الزياني. ولقد قمت بتحقيق هذه الفهرسة على أربع نسخ أولها بخطّ مصنّفها وهي تحت عدد 6778 بالخزانة الملكية الرباط والنسخ الأخرى تحت عدد 11485 خ م ـ 1220 ك الخزانة العامة ـ 2839 د الخزانة العامّة الرباط. وسأقوم بطبعها مستقبلًا بحول الله.
- الحياة الأدبية في المغرب للدكتور محمد الأخضر ص: 275، 281.
- الدرر الفاخرة لعبد الرحمٰن بن زيدان ص: 67.
- الروضة السليمانية لأبي قاسم الزياني مخ عدد 1275 د ص: 166 الخزانة العامة الرباط. =

بيعتـه:

لمّا قتل المولى يزيد[1]، افترقت الكلمة بالمغرب فأقام أهل الحوز وأهل مراكش على التمسّك بدعوى المولى هشام[2]، بينما اتفق العبيد، والوداية، والبربر، وأهل فاس[3]، على بيعة السلطان المولى سليمان وذلك سنة 1206 هـ/ 1792 م بمحضر جمع من العلماء وعلى رأسهم الفقيه أبو عبد الله محمد التاودي بن سودة، والسيد عبد القادر بن شقرون، والطيب بن كيران، وكبراء أهل فاس. قال صاحب الترجمانة الكبرى أبو القاسم الزياني لما زار تركيا، والتقى مع الوزير يوسف باشا سأله هذا الأخير قائلًا: كيف حالكم بعد موت مولاي محمد وبيعة اليزيد؟

= - سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني 3/ 231 - 232 طبعة حجرية.
- شجرة النور الزكية للشيخ محمد مخلوف ص: 380 - 381 رقم الترجمة 1523.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ص: 203.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجري الثعالبي المجلد الثاني ص: 354 - 355 دار الكتب العلمية.
- فهرس الفهارس لعبد الحيّ بن عبد الكبير الكتاني: 2/ 980 - 984 الطبعة الثانية 1982 دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- مذكرات من التراث المغربي: 4/ 176 - 195.
- معجم المطبوعات المغربية لإدريس بن الامي القيطوني ص: 219 رقم 503.

(1) المولى يزيد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل أمه علجة من الإسبان فيما يقولون. لم يتلق في حداثته ثقافة واسعة، وبالمقابل كان ذا ميلٍ شديد إلى الفنون العسكرية التي أظهر فيها استعدادًا كبيرًا على حداثته، بويع سلطانًا على المغرب سنة 1204 هـ/ 1790 م - وتوفي سنة 1206 هـ/ 1792 م إثر رصاصة أصابت خدّه لما لاحق بعض المتمردين وعلى رأسهم أخاه المولى هشام، فدفن بقبور الأشراف قِبْليّ جامع المنصور من قصبة مراكش. ترجم له في: تاريخ الضعيف: 1/ 377 - 426، الاستقصا: 8/ 72 - 85، تاريخ تطوان لمحمد داود: 3/ 179 - 182، الإعلام لعباس المراكشي 10/ 245 - 255، المغرب عبر التاريخ: 3/ 120 - 128.

(2) الاستقصا: 8/ 86.

(3) انظر نصّ بيعة أهل فاس للمولى سليمان في مخطوط عدد 77 من صفحة: 382 - 385 بالخزانة السودية بفاس. وكان عقدها يوم 18 رجب الفرد الحرام من سنة 1206 هـ/ 1792 م.

قال أبو القاسم الزياني: لا تسألني عن حالنا وما لقينا بعد موت والدنا رحمه الله، وحاصله: مَرِضْنَا حتى قَطَعْنَا اليأْسَ من الحياة، وأدركت عناية الله المسلمين بولاية ولده مولاي سليمان، فإنه من أهل الدين والعدل، والعفاف، وأخوه الثاني بمراكش، لكنه لا يَتِمُّ أمْرُه، وأهل ذلك كلهم متشوّفون له، ولا بدّ أن تجتمع كلمة أهل المغرب للسلطان سليمان، لعلمه ودينه، فقال: ليت لنا مِثْلَهُ، وهنيئًا للمسلمين بولايته، أثمر الله غرسه، وحضرت سُفْرَةُ غذائه فأكلنا[1].

وقال الجبرتي: لمّا توفي مولاي محمد سلطان المغرب، ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده، اجتمع الخاصّة والعامّة على رأي المترجم، فاختاروا المولى سليمان وبايعوه على الأمر بشرط السير على الخلافة الشرعية، والسُّنن المحمدية، وبايعه الكَافَّةُ بعده على ذلك وعلى نصرة الدين، وترك البِدع والمظالم والمُكُوسِ والمحارم[2].

إخماده لنار الاضطرابات والثورات:

لمّا تولّى هذا السلطان رحمه الله وجد مَن يضايقه الملك وَيُشْعِلُ نار الفتنة، والتفرقة من أبناء أبيه أخيه مسلمة صاحب بلا الهبط، الذي قام مقاومًا ومقاتلًا لتوليه الأمر، لكنه انهزم فرحل إلى المشرق فتوفي هناك[3]. وقضى السلطان على عدّة ثورات داخلية مُعادية لحُكمه.

ـ **سياسته الاقتصادية**: اتّسمت سياسته المالية في مجموعها: بالتقشّف في النفقات في العَقَار وحصر الضرائب والدخل في الموارد الشرعية[4]، فأسقطت المكوس التي كانت موظفة على حواضر المغرب في الأبواب والأسواق وعلى السّلع، وَعَوَّض المكس بالزّكوات والأعشار، التي أخلصها

---

(1) الترجمانة الكبرى ص: 189 طبعة 1992 م دار المعرفة الرباط.
(2) عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي ص: 203.
(3) الاستقصا بتصرّف واختصار: 8/ 90 ـ 93.
(4) المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات: 3/ 155.

الله على المسلمين، وما دام المكس يعتبر حرامًا فكذلك طابا، والكيف والمتاجرة فيهما حرام سواء مع المسلمين أو غيرهم فأمر بقطعهما وإحراقهما في كل بلد[1].

ـ **علاقته مع الخارج**: كانت عَلَاقَتُهُ مع الخارج في بدايتها عَلاقَةَ قطع. فقد أدّى تقلّص المعاملات التجارية مع النصارى إلى كساد اقتصادي وذلك برسم ملكي ورد من السلطان على رباط الفتح على عدم بيع الزرع للنصارى[2]. لكن هذه الخطة التي اتخذها السلطان سواء بأمره، أو بأمر بعض المتشدِّدين من فقهاء عصره، كانت نتيجتها وخيمة على الدولة، سرعان ما أدرك رحمه الله خَلْفِيتَهَا، فأعطى أمره بالإفراج عن بيع الزرع للنصارى بالدار البيضاء وغيرها[3]. ولهذا نرى أن سياسته الاقتصادية مرّت بمراحل تجريبية، كلما أَحَسَّ بخطر إلا بَادَرَ إصلاحَهُ بطرق شرعية.

تديّنه:

قال أبو القاسم الزياني في فهرسته: اعلم وفّقنا الله وإياك أن هذا السيد الجليل نشأ نشأة حسنة من صغره إلى كبره متمسّكًا بالدين قوي اليقين، معتكفًا على قراءة العلم الشريف، والإحسان للمشروف والشريف، ملازم للصلوات في الأوقات في الحضر والفلوات، وصيام الأيام المستحسنة من كل شهر، ومجالسة العلماء لسرد الحديث الشريف في الحضر والسفر، ويتأكد ذلك في شهر رمضان، يجمع أئمة الحديث لسرده والمذاكرة فيه، والبحث والتفهّم إلى أن امتلأ من العلوم، وبلغ الغاية في المعقول والمنقول والمعلوم والمجهول[4].

---

(1) تاريخ الضعيف: 2/ 586.
(2) تاريخ الضعيف: 2/ 501.
(3) تاريخ الضعيف: 2/ 594.
(4) فهرسة الزياني مخطوط عدد 6778 الخزانة الملكية الرباط، الصفحة: 84.

فالدين عنده كان بمثابة الروح في الجسد فقد قال مرة في بعض خطبه ثائرًا على البدع التي فَشَت في مجتمعه:

وقد ظهر يا عباد الله في الناس من المخالفة لأمر الله، وإتيان ما حرّم الله، والتفريط في جنب الله، والإعراض عن سُنَّة رسول الله ﷺ ما يخشى معه من حلول عقاب الله ونقمته، لولا حِلْمُهُ وعفوه وسابق رحمته[1].

- **انتقاده للطوائف الضالّة**: كان رحمه الله شديد الشكيمة في دين الله، يحاربُ أهل البدع بكل قواه وإنه قد كتب في ذلك خطبة يردع فيها بدع المواسم قائلًا، بعد أن حمد الله وأثنى عليه وتلا مقدمة وجيزة بيَّن فيها أن مصدر هذا الدين هو القرآن والحديث: اتركوا عنكم بدع المواسم التي أنتم بها متلبّسون، والبدع التي يزيّنها أهل الأهواء ويلبسون، وافترقوا أوزاعًا، وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعًا، بما هو صراح كتابًا وسُنَّة وإجماعًا وتسمّوا فقراء، وأحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سَقَرَ... فأنشدكم الله عباد الله هل فعل رسول الله ﷺ لحمزة عمّه سيد الشهداء موسمًا؟ وهل فعل سيد هذه الأمة أبو بكر لسيد الأرسال، صلوات الله عليه وعلى جميع الأصحاب والآل موسمًا؟ وهل فعل عمر لأبي بكر موسمًا؟ وهل تصدّى لذلك أحد من التابعين، رضي الله عنهم أجمعين؟ ثم أنشدكم الله هل زخرفت على عهد رسول الله ﷺ المساجد، أم زُوِّقت أضرحة الصحابة والتابعين الأماجد»[2]؟

لقد كان هذا السلطان رحمه الله متصديًا لأهل البدع والأهواء جاعلًا أقواله في قلوبهم كالسيوف والأسنّة. ولولا مخافة الطول لنقلتها تامة ليستفيد منها العامّ والخاصّ ليتنبّه مَن كان غافلًا، ويرجع إلى الصواب مَن كان ضالاً ضالاً.

---

(1) انظر نص هذه الخطبة ضمن مجموع بالخزانة الملكية الرباط تحت عدد 11973، صفحة: 84.

(2) الترجمانة الكبرى ص: 467.

علمه:

لقد تبحّر هذا السلطان في علم الحديث والتفسير، واعتلى على كل مَن تكلم فوق منبر وسرير، وسبح في بحر الأدب والتاريخ وأنساب العرب والنوادر التي يرقص سامعها ويطرب، وجال في ميدان البلاغة والإنشاء، والترسيل المطرز بالحجج من الحديث وآي التنزيل، فصار عَلَمًا يُهتَدى به، وإمامًا يُقتَدى به، وصار مَن يحضر مجلسه من الفقهاء لسرد كتب الحديث والتفسير، والمذاكرة في حلّ مشكلها الخطير العسير، يكتسبون من وفره، ويغترفون من بحره، ويتناول راية السّبق في فهم المشكلات، وحلّ المعضلات التي يعجز عن فهمها وإدراكها جهابذة النقّاد[1].

فجُلّ المؤرِّخين الذين عاصروا السلطان وصفوه بصفات حميدة من نُبْل، وشجاعة، وكرامة، وَحِلْم وعفو، لكن الصفة الأكثر بروزًا في حياته أنه كان رَجُلَ علم بالدرجة الأولى حيث تتلمذ على يد شيوخ أجلاء وأكفّاء في مختلف العلوم، غَرَفَ من بحرهم العلمي، وتأثر بأخلاقهم النبيلة وإخلاصهم لله تعالى.

شيوخه:

لقد سردهم الزباني في فهرسته[2] وحصر عددهم في نحو عشرين شيخًا مبتدءًا بوالده:

1 ـ السلطان المعظّم سيدي محمد بن عبد الله. وهم كالتالي:

2 ـ عبد الوهاب أجانة المكناسي أصلاً المراكشي دارًا.

3 ـ عبد الرحمٰن بن محمد بن البركة العظمى سيد أحمد بن الحبيب.

4 ـ شيخ الجماعة بالمغرب الشهير سيدي محمد التاودي ابن سودة.

(1) فهرسة أبو القاسم الزياني مخطوط عدد 6778 الخزانة الملكية ص: 84، 85.

(2) فهرسة مخطوط تحت عدد 7159 الخزانة الملكية الرباط ورقة 32/ب و33/ب، وفي فهرسة رقم 6778 خ م، ص: 57، 58.

5 ـ أبو العباس أحمد بن الشيخ سيدي محمد التاودي ابن سودة.

6 ـ العلّامة الأديب محمد بن الطاهر الهواري.

7 ـ العلّامة عبد القادر بن شقرون.

8 ـ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي.

9 ـ الطيب بن عبد المجيد بن كيران.

10 ـ أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي العباس الشرادي.

11 ـ القدوة الناسح الشيخ العربي بن البركة العظمى سيدي المعطي بن الصالح.

12 ـ العلّامة محمد بن أبي القاسم السجلماسي الرباطي.

13 ـ محمد بن أحمد بنيس.

14 ـ السيد حمدون بن الحاج.

15 ـ أبو عبد الله سيدي محمد الصديق.

16 ـ أبو عبد الله سيدي محمد الصادق.

17 ـ أبو عبد الله السيد محمد الزروالي.

18 ـ الفقيه السيد محمد بن منصور.

19 ـ السيد محمد بن عبد السلام الذرعي.

20 ـ السيد محمد بن عامر التادلي.

مؤلفاته:

كانت المؤلّفات في عهد السلطان قد أخذت طابعًا مُغايرًا لعهد أبيه السلطان سيد محمد بن عبد الله الذي نبذ المختصرات واعتبرها لا فائدة لها في العلم والتعلّم، وأمر بالتخلّي عنها لعقمها وندرة فائدتها فلما جاء ابنه المولى سليمان أبطل ما فعل أبوه من قبل ليُعيد تدريس المختصرات خاصة مختصر خليل الذي كاد أن يختفي تعليمُه في عهد محمد الثالث فأحياه

المولى سليمان في عهده، وجعله أكثر إقراءًا، راجعًا بهم إلى العهد المريني الأول في ترك الاجتهاد، وإلزام الناس بمذهب مالك، والتخلّي عن العقيدة الحنبلية، والأخذ بالعقيدة الأشعرية. أما عن مصنّفاته يمكن أن نحصرها في الكتب التالية وهي:

1 ـ وضعه شرحًا لكتاب الخرشي الذي يشرح فيه مختصر الشيخ خليل[1].

2 ـ تقييد على حديث تمثيل أعمال الكتابيين والمسلمين[2] بعمل الأجراء في ألفاظ النهار.

3 ـ عناية[3] أُولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجدّ، عرف فيه بالبيت للفاسي الفهري وعرض به ما يناهز 60 ترجمة لأعلامهم وصلحائهم فضلًا عن مجموعة من الأسماء.

4 ـ إمتاع الأسماع بتحرير ما التبس من حكم السّماع[4].

5 ـ الرّدّ على مَن قال بأفضلية بني إسرائيل على العرب[5].

6 ـ حُسْن المقالة في تطهير النفس مما يشين الحجّ ويسلب كماله. وهو عبارة عن رسالة يتكلم فيها عن آداب الحج والزيارة مع ذكر جملة من بدع الحجاج[6].

---

(1) هذا الكتاب توجد منه نسخة خطية بالخزانة الملكية الرباط تحت عدد 1323 في مجلد واحد ضخم يقع في 460 صفحة لو طبع لجاء في ألف صفحة أو تزيد وهي سليمة من التآكل.

(2) مخطوط عدد 2560 د خ العامة الرباط.

(3) كتاب مطبوع.

(4) يوجد من هذا المؤلف عدّة نسخ منها مخطوط عدد 2559 د 364 د ـ و3460 د و963 ك بالخزانة العامة الرباط و6040 ـ 1114 ـ 4764 ـ 4864 ـ 6430 هذه الأعداد كلها موجودة بالخزانة الملكية الرباط ـ ومخ عدد 394 و190 بمؤسسة علال الفاسي الرباط.

(5) هو الكتاب الذي سهرنا على تحقيقه وقد اعتمدنا فيه على نسخة واحدة وهي المرقّمة تحت عدد 2600 د الخزانة العامة.

(6) مخطوط عدد: 963 ك بالخزانة العامة وعدد 12032 بالخزانة الملكية ومخطوط عدد 410 بمؤسسة علال الفاسي الرباط.

7 ـ الخطبة الوعظية التي أنشأها ضدّ بدع المواسم الشعبية[1].

8 ـ رسالة ضد بدع الزيارة للصلحاء[2].

9 ـ جواز التجمير بالقُسط بضم القاف في رمضان[3]. القُسط معناه العود الذي يتبخر به، والتجمير معناه: التبخّر.

10 ـ رسالة[4] سلطانية سليمانية وعليها تعاريف 5 وفتاوى 9.

11 ـ تقييد على حديث القراريط[5].

12 ـ تقييد حول شرح قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾[6].

13 ـ تقييد في العادل والجائر من الوُلاة والعمّال[7].

وفاة السلطان رحمه الله:

توفي رحمه الله تعالى يوم 13 ربيع الأول من عام 1238 هـ/ 1822 م. ودفن يوم الجمعة بضريح مولاي علي الشريف من حمراء مراكش حرسها الله بباب إيلان قرب ضريح القاضي عياض[8].

---

(1) تم نشرها في إتحاف أعلام الناس لعبد الرحمٰن بن زيدان: 5/ 465، 470 وفي الترجمانة الكبرى لأبي القاسم الزياني ص: 466.

(2) نصّها غير معروف لكن الناصري اقتبس منها فقرة في الاستقصا: 8/ 123.

(3) مخطوط عدد: 87 الخزانة الصبيحية سلا ـ 5633 الخزانة الملكية.

(4) مخطوط عدد 2795 د الخزانة العامة الرباط.

(5) مخطوط عدد 153 ج الخزانة العامة يقع ضمن مجموع ومخطوط عدد 389 بمؤسسة علال الفاسي الرباط ضمن مجموع.

(6) مخطوط عدد 153 ج الخزانة العامة ضمن مجموع يبتدىء من صفحة 275 إلى صفحة: 285. سورة الزخرف، آية: 60.

(7) مخ عدد 278 د الخزانة العامة.

(8) عن وفاة السلطان انظر المراجع التالية: الروضة السليمانية لأبي قاسم الزياني مخطوط عدد 1275 د ورقة: 202/ب الخزانة العامة، تاريخ الضعيف: 2/ 750، الاستقصا: 8/ 166.

دوافع تأليف الكتاب

قام السلطان رحمه الله تعالى بتأليف هذه الرسالة، ليضع حدًا للتنطّعات الجاهلية التي أحياها بعض السَّفَلَة لإشعال نار الفتنة بين المسلمين، وذلك لمّا رموا العالِم الجليل أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمٰن بن زكري الفاسي المتوفّى سنة 1144 هـ بأنه صنّف كتابًا مضمّنه تفضيل العجم على العرب واسم الكتاب السيف الصارم في الرد على المبتدع الظالم توجد منه نسخة خطية تحت عدد 939 حرف كاف. وهذا الكتاب ليس فيه ما يبرّر لخُصومه مما لفّقوه له من اتّهامات تستحيل بجاهل فكيف بعالم! وقال القادري في نشر المثاني: ونسبوا له تأليفًا آخر، مضمّنها تفضيل العجم على العرب. ولم أقف على شيء منها. قال: وقيّد في الرّدّ على ما وصفوا لي تقييد، فانظره إن شئت وسمعنا سماعًا مستفيضًا أنه ألّف تأليفًا في أفضلية العجم على العرب، ولم نرَ من شيوخ وقتنا من أهل الدين إلا مَن يعيب عليه ويشنّع عليه غاية التشنيع. وهو جدير بذلك، لأن العرب لهم مزية على غيرهم من الخلق برسول الله ﷺ، ولعلّ القادري يقصد من ذلك ما لفّق لابن زكري كتاب: «رشف الضرب في فضل بني إسرائيل والعرب» وهو كتاب مخطوط بالخزانة الملكية الرباط تحت عدد 1601. نسب إلى ابن زكري خطأ.

لكن الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس دافع عن ابن زكري قائلًا بأن هذا الكتاب ليس لابن زكري وهو كتاب يعالج موضوعًا طرح في مدينة فاس منذ

القرن الحادي عشر الهجري موضوعه: «الإسلاميون البلديون المهاجرون» وقد نسب بدوره خطأ لأبي القاسم الزياني. ويوجد بالخزانة العامّة تحت عدد 270 حرف كاف و1115 حرف د.

فهذه القضية مرّ عليها أكثر من ثمانين سنة فأحياها بعض مَن لا هَمَّ لَهُمْ إلا الطعن في الأنساب وتحقير العلماء، وتفضيل الأراذل على الشرفاء. فقام لها السلطان بالمرصاد فأطفأ نارها بتأليفه هذا.

موضوع الكتاب

الموضوع عامٌ يتحدّث ردًا على مَن قال بأفضلية بني إسرائيل، مع أن فضيلة العرب على العجم بصفة عامّة مشهورة في الكتاب والسُّنَّة لا مراء في ذلك، ولا يحتاج إلى جدال.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾[1] فقد كان ساريًا على عالم زمانهم فقط دون مَن بعدهم من أمة محمد ﷺ ومَن قبلهم من الأنبياء. كذا تحدّث عن النسب إذا لم يكن مقترنًا بالدين فإنه لا يجدي شيئًا. فبيَّن أن الشرف يكون أولًا بالأعمال الصالحة وثانيًا بالنسب الصالح الذي تعود بركته.

دراسة المخطوط المحقَّق

لقد اعتمدت في تحقيق هذا الموضوع على نسخة واحدة وذلك بعدما تصفَّحت فهارس المخطوطات الوطنية وهرعت إلى بعض خزانات الوثائق طامعًا في العثور على نسخة مقابلة أخرى. والنسخة المعتمدة توجد بالخزانة العامّة بالرباط تحت عدد 2600 د عدد صفحاتها 9 صفحات وهي ضمن مجموع تبتدىء من ص 34 إلى ص 42 مقياسها 22 طولاً و87,5 عرضًا، عدد سطر كل صفحة 25 سطرًا بمقدار 84 كلمة في كل سطر تقريبًا، نوع ورقها أصفر، مادة حبرها الصمغ الأسود مع استعمال اللون الأحمر نادرًا. سليمة من التآكل ليس بها تقاييد على الهامش خالية من اسم الناسخ وزمن

(1) سورة البقرة، آية: 47.

نسخه كتبت بخط مغربي أصيل لا بأس به إلا أن الناسخ يغفل النقط أحيانًا في حرف: خ وج وق. مُسَفَّرة تسفيرة جلدية قديمة لونها بنّي بها خُروم على حواشيها.

منهجي في التحقيق

أولًا: لعدم توفّري على نسخة أخرى مقارنة بأخرى تسهِّل عليَّ موضوع النسخ، نسختها بيدي وعرضتها على الشيخ الجليل اللغوي النحوي الأديب الأستاذ مبارك البلوتي، فسهرنا معًا على إخراج موضوعها إخراجًا موفَّقًا وخاصة أنه له دراية بالخط المغربي الأصيل وهذا يتوافق مع مهنته العدلية (موثّق).

ثانيًا: خرّجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في النص.

ثالثًا: شرحت ما بَدَا لي من غريب ألفاظ، وإيضاح معنى.

رابعًا: قمت بترجمة للأعلام الواردة في النص.

خامسًا: قمت بترجمة للمؤلِّف.

الصفحة الأولى من المخطوط الوحيد المُعتَمَد في التحقيق وعدده 2600 د بالخزانة العامّة الرباط

عن [illegible] إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم
العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم
اختار بني هاشم [illegible] فاختارني [illegible] فلم أزل خيارا من خيار فهذا يدل على أن العرب
أفضل من حيث النسبة إلى إسماعيل [illegible] من كل منهم [illegible] لا فضيلة لهم
بل أدنى مؤمن من بني إسرائيل [illegible] لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب
أصحاب الجنة هم الفائزون [illegible] الأمر الثالث [illegible] المؤذن [illegible]
[illegible] ولم يكن ذلك الرسول [illegible] إلى هذا الزمان ثم دخل من العرب
في اليهودية والنصرانية [illegible] وغسان [illegible]
دخول اليهود [illegible] كما [illegible] المصطفى
[illegible] الكتاب [illegible]
[illegible] الكتاب [illegible]
[illegible] أنهم [illegible] العرب [illegible] عيسى
عليه السلام [illegible] عيسى ولم [illegible] إلى العرب كما [illegible]
[illegible] بني آدم [illegible] المصطفى عليه
السلام [illegible] إلى الناس جميعا بل إلى الثقلين بإجماع
[illegible] الإجماع والله تعالى أعلم وبه
التوفيق والهداية إلى سواء الطريق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
[illegible] والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة للمخطوط المرقّم تحت عدد 2600 د الموجود
بالخزانة العامّة

تحقيق كتاب
الرّدّ على مَن قال
بأفضلية بني إسرائيل على العرب

تــأليف

السلطان العلوي الشريف

أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله

المتوفّى سنة 1238 هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

هذا التقييد للعلَّامة السلطان مولاي سليمان بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل العلوي الحسني في: الرّدّ على مَن قال بأفضلية بني إسرائيل على العرب رحمه الله.

نحمد الله الذي وَسِعَنَا كَرَمُهُ، ونشكر الله الذي غمرتنا نعمه، ونصلّي ونسلِّم على نبيِّه الذي هو أشرفُ الخلق وأكرمُهُ وعلى آله الذين لهم من الشرف بالقرب معظمه، وصحابته الذين بهم علا الدين وأرتبهم علمه. هذا وإن ما قيَّده سيِّدنا فخر السلاطين وبحر العلوم، ومعدن حقائق الأنظار وحقائق الفهوم **مولانا سليمان بن مولانا محمد** لا زالت مآثره تُؤثَرُ وتُحمَد على آية: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾[1]، وما في معناها هو أمثل ما يَحُلُّ إشْكَالَ مُعَارِضِهَا لِمَا عُلِمَ مِنْ أفضلية الأمة المحمدية على سائر الأمم حسبما أفصحت به آية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]، وآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3]، سواء كان الخطابُ عامًّا للأمّة، أو خَاصًّا بالصحابةِ لِعُمُومِ المُفَضَّلِ عليه، وهو أُمَّةٌ أُخرجت للناس، فإن قلت من أين جاء العمومُ وهو نكرة في سياق الإثبات على حدِّ جاءني رجلٌ؟ قلت جاءه إما من تقدير كُلّ أي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[4]. على حَدِّ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ

(1) سورة البقرة، آية: 122.
(2) سورة فاطر، آية: 32.
(3) سورة آل عمران، آية: 110.
(4) سورة آل عمران، آية: 110.

أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾[1]. أي كُلُّ نفس. وإما من قيام النكرة المفردة مقام المعرفة المجموعة كأنه قيل: كنتم خير الأمم المُخرَجَة للناس، إذا فُصِّلُوا أمة أمة، فاختصر الكلام كَمَا في التصريح، وبيان المعارضة أن قوله لِبَني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[3]. وقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾[4]. يقتضي عموم المفضول عليهم فيما تفْضيلهم على هذه الأمة، والآيتان السابقتان يقتضي عموم المفضول المفضل عليه فيما تفضيل هذه الأمة عليهم وعلى غيرهم. والفاضل لا يكون مفضولًا لمَن فَضَلَهُ فوجب المصير إلى تخصيص أحد العمدين دفعًا للتعارض وكلا العمدين قابل في نفسه أن يُخَصَّ بغير المفضل الآخر، لكن الأدلة من خارج تدلّ على أن التخصيص في عموم مَن فضل عليهم بنو إسرائيل، بأن يخصّ العالمون بغير هذه الأمة لإجماع المسلمين على أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم عمومًا والآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[5]. أي عُدُولًا خيارًا لتكونوا شهداء على الناس، ولِما في حديث الصحيحين وغيرهما من أنّ أهل الكتابين أقلّ أجْرًا من هذه الأمة، وإن كانوا أكثر عملًا لهم، لهم قيراط قيراط ولهذه الأمة قيراطان قيراطان مع أنهم أقلُّ عملًا. ولما روى أبو نعيم وَغَيْرُهُ عن ابن عباس رفعه أن الله لما قرّب موسى نجيًا قال يا رب: هل أحد أكرم عليك مني قرّبتني نجيًّا وكلَّمتني تكليمًا؟ قال: نعم محمد أكرمُ منك. قال: فإن كان محمدٌ أكرمَ عليك منّي، فهل أُمَّة محمد أكرم عليك من بني إسرائيل فَلَقْتَ لَهُمُ البَحْرَ، وأنجيتهم من فرعون وملئه وأطعمتهم المنّ والسلوى؟ قال: نعم، أمة محمد أكرمُ عليَّ من بني إسرائيل. قال: إلٰهي أرينيهم. قال: إنك لن

(1) سورة التكوير، آية: 14.
(2) سورة البقرة، آية: 47.
(3) سورة الجاثية، آية: 16.
(4) سورة الدخان، آية: 32.
(5) سورة البقرة، آية: 143.

تراهم، وإن شئت أسمعتك أصواتهم، قال: نعم إلٰهي، فنادى ربنا يا أُمة محمد، أجيبوا ربكم فأجابوا في أصلاب آبائهم، وأرحام أُمّهاتهم إلى يوم القيامة، فقالوا: لبّيك أنت ربّنا حقًّا ونحن عبيدك حقًّا. قال: صدقتم، الحديث. وفي آخره أنه نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[1].

وفي حديث أبي هريرة وأنس عند أبي نعيم وغيره مرفوعًا أن موسى عليه السلام لمّا علم أفضلية هذه الأمةِ على بني إسرائيل قال: يا رب اجعلني نبي تلك الأمة. قال: نَبيُّها منها، قال: يا رب اجعلني من أمة ذلك النبي. قال: استقدمت واستأخر، ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال، وأُعطي عند ذلك خصلتين، فقيل له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2]. وطلبه أن يجعله من هذه الأمة على جهة التمنّي[3]. كقول امرىء القيس[4]:

ألا أيّها الليل الطويل ألا آنجَلِي ... بصبح وما الإصباح منك بِأَمْثَلِ[5]

ولذلك قال العلّامة ابن زكري[6] من قصيدة:

تمنى المرسلون لأن يكونوا ... من أمته ليزدادوا اقترابا

لقد فزنا بتخصيص عظيم ... لأن حُزنا لملّته انتسابا

فكونوا عارفين بما مُنِحْتُمْ ... ووالوا الشكر لله احتسابا

---

(1) سورة القصص، آية: 46. (2) سورة الأعراف، آية: 144.

(3) ورد الحديث في كتاب السنة لابن أبي عاصم: 1/306 وقال: إسناده ضعيف جدًا بل موضوع ولوائح الوضع عليه ظاهرة، وآفته أبو أيوب الجنائزي واسمه سليمان بن سلمة الحمصي قال أبو حاتم متروك لا يشتغل به وقال ابن الجنيد كان يكذب.

(4) ولد في نجد نحو سنة 500 م وعاش في اللهو والصيد ونظم الشعر فطرده أبوه. توفي سنة 540 م ترجم له في: معجم الشعراء للإمام المرزباني ص: 9، شرح القصائد السبع الطُوال للأنباري ص: 3 ـ 112، الشعر والشعراء لابن قتيبة ص: 50 ـ 75.

(5) انظر البيت وشرحه في كتاب شرح القصائد السبع للأنباري ص: 77.

(6) سَيأتي ترجمته.

ولأنهم أُعطوا أفضل الكتب وجعلوا أتباعًا لأفضل الرُّسل وأُعطوا ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾[1]، وإنهم لا يجتمعون على ضلالة[2] وإن إجماعهم حجة واختلافهم رحمة[3]، وكان اختلاف مَن قَبْلَهُمْ عذابًا، وإنهم جُعِلوا آخر الأُمم، لِئَلَّا يَطَّلِعَ غَيْرُهُمْ على مَسَاوِئِهِم، وإنهم أول مَن يدخل الجنة من الأمم، إلى غير ذلك من خصائصهم.

وحاصل كلام مولانا الإمام أمران أحدهما أن تفضيل بني إسرائيل في الآي السابقة، إنما هو باعتبار مَن سَبَقَهُم من الأمم، أو عاصرهم مَن ليس منهم لا باعتبار مَن بعدهم فَلَا تَرِدُ هَذِهِ الأمة المحمدية كما أن تفضيل هذه الأمة هو أيضًا بالنسبة إلى مَن سبقها من الأمم، ولمّا كانت آخر الأمم لزم من تفضيلها على مَن سبقها تفضيلها على سائر الأمم إذ لا أُمَّةَ بعدها، حتى تكون فاضلةً، أو مفضولةً وهذا الذي قاله في تلك الآي هو أمثل ما يقال، وأحق ما يدفع به الإشكال وهو إما تخصيص للفظ العالمين، أو تنبيه على أنه ليس في الحقيقة زائد على ما يتبادر منه، فلا حاجة إلى اعتبار التخصيص، فإن معنى ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4] جعلت آباءكم، أو أسلافكم يفضلون أو فاضلين سائر العالمين ولا شك أنهم إنما يتّصفون بذلك وقت تلبّسهم بشريعتهم وعندما كانت معتبرة قائمًا حُكمها قبل النسخ. واسم الفاعل، وكذا المضارع حقيقة في حال التلبّس بالمعنى وإن لم يكن هو حال التكلّم على ما حقّقه التاج ابن السبكي[5] وإذا ثبت لهم الفضل على العالمين

---

(1) سورة القدر، آية: 3.

(2) عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يجمع الله أمتي على ضلالة أبدًا ويد الله على الجماعة» أخرجه الحاكم في مستدركه حديث (394). 1/200 دار الكتب العلمية ط Iس 1990.

(3) أخرج أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء قال أبو يزيد: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئًا أشدّ عليّ من العلم ومتابعته. ولولا اختلاف العلماء لتعبت. واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد. الحلية: 10/36، وصفة الصفوة: 4/107، 108.

(4) سورة البقرة، آية: 47.

(5) تاج الدين قاضي القضاة أبو النصر عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي بن تمام=

في ذلك الوقت اختصّ لفظة العالمين بمَن تحقّق لهم وجود إذ ذاك دون الباقين في العدم، إذ الباقون في العدم وهم هذه الأمة ليسوا من العالمين في ذلك الوقت بالفعل، بل بالقوة فقط فلا يتناولهم لفظ العالمين بالقياس إلى ذلك الوقت الذي هو وقت قيام شريعتهم، قبل نسخها، وإذا عُلِمَ هذا فمَن آمن بعيسى من بني إسرائيل استمر تفضيله، ومَن كفر به بطلت فضيلته، ومَن آمَنَ بنبيِّنا من اليهود المكذِّبين بعيسى انتقل من عدم الفضل بالكليّة، إلى أفضل مما ثبت إسلامه من الفضيلة، ومَن كذب به بعد تكذيبه بعيسى استمر على عدم الفضيلة بالكلية. ولهذا قُدِّرَ المضاف في قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾[1] أي فضلت آباءكم وَأَسْلَافَكُمْ، إذ الخطاب للكفّار منهم. ولا يجب مثل ذلك في قوله: ﴿ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[2] لأن النِّعَم في الظاهر سابقة عليهم، وعلى آبائهم، فيمكن أن يزكّوا ما هم فيه من النِّعَم وقت النزول، ويعمّ الخطاب الموجودين، وآباءهم على التغليب ويمكن أن لا يقدّر المضاف في: «وَأني فضلتكم»، ويكون التفضيل واقعًا على المجموع من حيث هو مجموع، فيُصْرَفُ إلى ما يليق به ويقتضي الحكم على كل بَعْضٍ بَعْض كما تقرّر في موضعه. وقد قال قتادة[3]: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب[4] كان يقول: قد

= الأنصاري السبكي الشافعي صاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة 771 هـ/ 1369 م. ترجم له في الرسالة المستطرفة ص: 140، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: 1/ 410 ـ 411، الفكر السامي للحجوي 2/ 411، 412 المجلد الثاني دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1992، الدرر الكامنة: 3/ 39.

(1) سورة البقرة، آية: 47. (2) سورة البقرة، آية: 40.

(3) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر شهد العقبة وبدرًا وما بعدها فقئت عينه يوم أُحُد فردّها النبي ﷺ بيده الكريمة، خرّج له البخاري حديثًا واحدًا توفي سنة 23 هـ عن 65 سنة بالمدينة وصلّى عليه عمر بن الخطاب. ترجم له في: الاستيعاب لابن عبد البر: 3/ 1274، أسد الغابة لابن الأثير 4/ 89 ـ 91، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: 5/ 229، 230.

(4) عمر بن الخطاب بن عبد العزّى كنّاه رسول الله ﷺ أبا حفص وسمّاه الفاروق. له مناقب عدة توفي سنة 23 هـ ترجم له في الاستيعاب: 3/ 1144 ـ 1159، أسد الغابة 3/ 642 ـ 678، الإصابة: 4/ 279.

قضى الله بني إسرائيل، وإنما يعني بما تسمعون غيركم، فإنهم المعنيّون بنحو: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1]. وقد أشار النيسابوري[2] في تفسيره للآية إلى ثلاثة أجوبة على المعارضة، وهي تخصيص لفظ العالمين بغير هذه الأمة، بأن يُراد بها الكثير من الناس لا الجميع، أو تخصيص لفظ العالمين بعالمي زمانهم أو تخصيص التفضيل ببعض الوجوه دون بعض مع بقاء لفظ العالمين على الشمول للموحّدين ومن بعدهم، ونصّ كلامه: والمراد بالعالمين هٰهنا الحجم المفيد من الناس، كقوله: ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾[3]. ويقال: رأيت عَلَمًا من الناس يرى الكثرة بقرينة الْعَلَم، بأنه لم يَرَ كُلَّ الناس، ويمكن أن يكون المراد: فضّلتكم على عالمي زمانكم، لأن الشخص الذي سيوجد بعد ذلك، لا يكون من العالمين، ويحتمل أن يكون لفظ العالمين عامًّا للموجودين، ولمَن سيوجد لكنه مطلق في الفضل، والمطلق كفى في صدقه صورة واحدة، فالآية تدلّ على أنهم فضّلوا على كل العالمين في أمْرٍ مَا، وهذا لا يقتضي أن يكونُوا أفضل من كل العالمين في كل الأمور، فلعل غَيْرَهم يكونون أفضلَ منهم في أكثر منها. وقيل: الخِطابُ لمؤمني بني إسرائيل لا عُصَاتُهُمْ مُسِخُوا قِرَدة وخنازير بلفظة. وما فضلوا به من بعض الوجوه، أن جميع الأنبياء وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا منهم، إلا عَشَرَة على ما ورد عن ابن عباس، وقيل غيرُ ذلك، وَبَقِيَ هُنا حجّتان؛ أحدهما أن أفضلية أمة موسى بالنسبة لغير أمة المصطفى، وأفضلية أمة المصطفى على أمة موسى إنما هما من حيث الانتساب إلى رَسُولَيْهِمَا عليهما الصلاة والسلام، لا من

(1) سورة البقرة، آية: 47.

(2) اسمه الكامل: نظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني النيسابوري المعروف بالنظام الأعرج كان من علماء رأس المائة التاسعة على قرب من درجة ابن حجر العسقلاني. أما تفسيره اسمه: غرائب القرآن ورغائب الفرقان وهو مختصر من التفسير الكبير للفخر الرازي وضمّ إلى ذلك بعض ما جاء في الكشاف للزمخشري.

(3) سورة الأنبياء، آية: 71.

حيث العمل وَكَمِّيَّتِهِ فلا يمنع أن يفضل بعض أفراد أمة موسى، أو عيسى عليهما السلام بعض أفراد هذه الأمة في العمل فقد يَعْرِضُ للمُعَدَّى ما يجعله مساويًا، أو مماثلًا، فإذا قِيسَ مَن ليس له عمل صالح من هذه الأمة إلى التَّقيّ الذي له أعمال صالحة من أهل الْكِتَابَيْن، فمَن مات على التديّن بشريعتهم وقتَ اعتبارها فلا إشكال أنه يكون أفضلُ. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، وهو خطاب للناس معلنًا بدليل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم﴾[2] إلى آخره. وأما مَن له عمل صالح من هذه الأمة، وأمة موسى، أو عيسى، فبأن نفرض أنه وجد للمحمدي مائة حسنة، فضوعِفَت بعشر عشر فصارت ألفًا. ووجد لواحد لأهل الكتابين ألف حسنة، فضُوعِفَت بأربع أربع مثلًا فصارت أربعة آلاف، وهي أكثر من الألف، وإنما لم نجعل التضعيف لهم بخمس خمس، مع أن لهم قيراطًا قيراطًا ولهذه الأمة قيراطان[3]، حتى يكون أجْرُ قيراطي الكتابي مثلَ نصفِ أجْر المحمدي، لأن الكتابي في الحديث فرض أكثر عملًا من المحمدي، ومع ذلك لم يزد على القيراط الواحد. فدلّ ذلك على أن أجْره أقلُّ من نصف أجْر المحمدي في الجملة والله أعلم.

فالحاصل في النسب الديني مُعْتَبَرٌ ومتفاوت في الأفراد بحسب تفاوت المنسوب إليه ألّا يغلب المفوق الفائق من غير حيثية النسبة النسب الطيني، إلى مَن له مَزِيَّةٌ دينية تعتبر شرعًا بشرط التقوى العملية، فمقتضى كلام بعضهم أنه لا تأثير لشرف النسب أصلًا، لأنه تابع للتقوى يقوى بقوتها ويضعف بضعفها، وينعدم بانعدامها، وقيل: يبقى له أثر قوي كما يأتي في كلام ابن عربي[4] الحاتمي، وقيل يبقى له أثرها كما يأتي في كلام العلّامة

(1) سورة الحجرات، آية: 13. (2) سورة الحجرات، آية: 13.

(3) في الأصل: قيراطين وهو خطأ، والصحيح قيراطان لأنه مبتدأ مؤخر ولا يوجد ما ينصبه.

(4) هو محيي الدين بن عربي الفقيه الظاهري من أعمال مرية بالأندلس. توفي سنة 638 هـ بقرطبة ترجم له في شذرات الذهب: 5/ 190، النجوم الزاهرة 6/ 339، الطبقات الكبرى: 1/ 188.

ابن زكري[1]، وقيل لا أثر له أصلًا ولو مع التقوى، لأن ظاهر الآية، وكثير من الأخبار، أن الكرامة عند الله تعالى، إنما هي بالتقوى لا شرف النسب بحيث وجدا، كانت الكرامة عنده منوطة بها، لأنه بوجوده غير مؤثّر في ذلك.

والحق أن له أثرًا على حسب ما يقارنه من التقوى العملية وأنه ترجى بركته في الجملة، وأما قوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: «اشتري نفسك من الله لا أُغني عنك من الله شيئًا»[2]. فالمراد أنه لا يُغْني عنها إغناءً محقّقًا على تقدير عام التقوى، أما معها، كما هو الواقع فله، أي إغناء كيه[3] وقد وصلت بجاه الانتساب إليه إلى أنها سيدة نساء أهل الجنة، وأنه يقال لأهل الموقف: «غُضّوا أبصاركم حتى تمرّ فاطمة بنت محمد ﷺ»[4].

وقال القرطبي في تفسيره ما نصّه: «والحدّ من التقي أفضل من الفاجر النسيب، فإن كانا تقيين فبه تقدّم النسيب منهما كما يُقَدَّمُ الشيخ على الشاب في الصلاة، إذا استويا في التقوى؛ منه بلفظه. وقال القلشاني[5] على الرسالة: ولا شك أن للشرف في النسب مَزِيَّةً تقتضي تقديم صاحبها على غيره، لا يعني في الرتبة المُشار إليها في قول المختصر، ثم زائد فِقْهٍ، ثم

---

(1) هو محمد بن عبد الرحمٰن بن زكري الفاسي المولد والمنشأ توفي سنة 1144 هـ ترجم له في التقاط الدرر ص: 356 ـ 358، الاستقصا: 8/ 83، سلوة الأنفاس: 1/ 158 طبعة حجرية، الحياة الأدبية ص: 217 ـ 219.

(2) هذه الرواية أوردها القرطبي في تفسيره برواية ابن عباس بلفظ: أقبل نبي الله ﷺ من سرية أو غزاة فدعا فاطمة فقال: يا فاطمة اشتري نفسك من الله فإني لا أُغني عنك من الله شيئًا وقال مثل ذلك لنسوته. . . الحديث: 16/ 94. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برواية أبي هريرة 3/ 228 ـ حديث (3401).

(3) كيه: هو الذي لا متصرف له ولا حيلة. لسان العرب مادة كيه: 13/ 538.

(4) ورد الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي 9/ 212، والطبراني في المعجم الكبير حديث (180) 1/ 108 وفيه عبد الحميد بن بحر وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا في حديث (999) 22/ 400 من طريق عبد الحميد برواية علي رضي الله عنه.

(5) هو أبو حفص عمر بن محمد القلشاني التونسي توفي سنة 847 هـ. ترجم له في شجرة النور الزكية ص 245، ولقط الفرائد ص: 249.

حَدِيثٍ، ثُمَّ عِبَادَةٍ، ثم بِسِنِّ إسلام ثم بنَسَب. وقول الزرقاني[1] المراد بتشرّف النسب كون الشخص معروف النسب لا مَجْهُولهُ خلاف ظاهر كلامهم ويدلّ على أن لشرف النسب أثر في الجملة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2]. وقد أخرج حمّاد بن سلمة عن ابن عباس قال: يرفع الله للمؤمن ذريّته وإن كانوا في العمل دونه، ليقرّ الله عَيْنَهُ. ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ إلى قوله: ﴿مِن شَىْءٍ﴾[3] ما تَحَصَّنَّا الآباءُ بما أعطيت الأبناء. وعكس ما في الآية ما رواه ابن مردويه، والضياء مرفوعًا: إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك. فيقول: يا رب قد كملت لي ولهم؟ فيؤمر بالإلحاق[4]. ويدلّ لذلك أيضًا حديث البخاري وغيره عن أبي هريرة أنه قيلَ: يا رسولَ الله مَن أكرمُ الناس؟ قال: «أتقاكم»، قالوا: ليس عن هذا نسأل. قال: «فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله، ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهُوا»[5]هـ. قال العلّامة ابن زكري بَيَّنَ الشرف أولًا بالأعمال الصالحة، وثانيًا بالنسب الصالح الذي تعُودُ بركته، وثالثًا بأصالة الغرائز الحميدة. وهذا بالنسبة لمَن أسلم عن أبٍ كافر، أو آباء

---

(1) هو: أبو محمد عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني توفي سنة 1099 هـ. ترجم له في خلاصة الأثر: 2/ 287، اليواقيت الثمينة: 1/ 238 ـ 239، الفكر السامي: 2/ 337، شجرة النور الزكية ص: 394.

(2) سورة الطور، آية: 21.

(3) سورة الطور، آية: 21.

(4) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير برواية ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمٰن ضعيف، حديث (12248) 11/ 440، والمعجم الصغير حديث (640) 1/ 382، والفردوس للديلمي حديث (1153) 1/ 293، ومجمع الزوائد: 7/ 114.

(5) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء، آية: 165]، حديث (3353) وحديث (2283) وحديث (3490) و(4689). وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل (44) باب من فضائل يوسف عليه السلام حديث (2378)، والنسائي في سُننه الكبرى حديث (11249) ـ 6/ 376، ومصنّف ابن أبي شيبة حديث (31919) ـ 6/ 347، والدارمي في سننه حديث (223) ـ 1/ 84.

كفّار موصوفين بتلك الغرائز، وأما مَن أسلم في عهده ﷺ من أهل الكتاب الذين كانوا على دين صحيح فالسريان من آبائهم المسلمين أَحْرَوِي[1].
فقوله: خيارهم في الجاهلية من التفضيل بالأصالة التي السريان معها أمر أغلبي ومَن ورث ليس كمَن اكتسب والوارث هو مَن اتّصف بمثل ما كان لآبائه. وإلا فلا عبرة به في هذا القسم الثالث الذي النسبة فيه إلى غيره الصالحين من الجاهلية.

وأما الثاني فالعقوق لا ينفي النسب، وإن كان بين البارّ والعاقّ كما بين السماء والأرض. فليس في القسم الثالث تفضيل بالآباء الجاهليين بل بالخصال الحميدة الأغلب فيها الاقتداء كما قيل:

بأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الكَرَمْ ... وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمْ

وقال آخر:

إنَّا وَإنْ كَرُمَتْ أَوَائِلُنَا ... لَسْنَا عَلَى الاحْسَابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

انتهى كلام ابن زكري.

ولابن الرومي[2] في هذا المعنى:

وما الحسب الموروث لَا دَرَّ دَرُّهُ ... بِمُحْتَسَبٍ إلَّا بآخَرَ مُكْتَسَب
إذا الغضى[3] لم يثمرْ وإن كان شجرة ... من المثمرات اعتدَّهُ النَّاسُ لِلْحَطَب

---

(1) انظر نص ابن زكري في كتابه: السيف الصارم في الرد على المبتدع الظالم ص: 106، 107، مخطوط عدد 939 حرف كاف الخزانة العامة الرباط.

(2) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي، رومي من ناحية أبيه، فارسي من ناحية أمه، نشأ ببغداد عاكفًا على طلب العلم، مات مسمومًا سنة 283 هـ/ 896 م. انظر كتاب ابن الرومي (حياته من شعره) لعباس محمود العقاد، الطبعة الثانية، القاهرة السنة 1938، وعبد الرحمٰن شكري: ابن الرومي الشاعر المصوِّر ص: 243 ـ 246 طبعة 1939، وشوقي ضيف الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص: 116 ـ 130 القاهرة 1945.

(3) قال الأصمعي إذا بدا الطّلع فهو الغضيض فإذا اخضرّ قيل: خضب النخل ثم هو البلح. =

ومما ذكر يتبيّن أن الاعتماد على النسب مجرّدًا عن التقوى والفخر به حذر وجهل.

ومما يُنسَب لسيّدنا عليّ[1] كرَّم الله وجهه:

النـاسُ مـن جـهـة الـتـمـثـيـل أكـفـاءُ ... أبـــوهـــم آدم والأُم حَـــوَّاءُ[2]

نـفـس كـنـفـس وأرواح مـشـاكـلـة ... وأعـظـمٌ خـلقـت فـيـهـم وأعـضـاء

فإن يكـن لـهـم من نـسلهـم حَسَبٌ ... يُـفَـاخِـرُونَ بـه فـالـطـيـنُ والـمـاءُ

مـا الـفـضـل إلا لأهـل الـعـلم إنَّـهُـمُ ... عـلى الـهـدى لـمَـن اسـتـهـدى أدِلَّاءُ

وقـدر كـل امـرئٍ مَـا كـان يُـحـسـنـه ... ولـلـرجـال عـلى الأفـعـال أسـمـاءُ

وضـدّ كـل امـرئٍ مـا كـان يـجـهـلـه ... والـجـاهـلـون لأهـل الـعـلـم أعـداءُ

وللشيخ أبي حفص الفاسي[3] في معناه:

قل لمَن يعلو على الناس بآباء سُرَاتِ ... ليس من شأنِي افتخارٌ بعظامٍ نَاخِرَاتِ

مَا فَخَارُ المرء إلا بعلوم زاخراتِ ... وسجايا ومزايا وهبات وافراتِ

وَضِرَابِ بِنِصَالِ، في مجالِ الحركاتِ ... وَجِفَانٍ كَالجَوَابِ، وَقُدُورٍ رَاسِيَاتِ[4]

وقال ابن عربي في الفتوحات: يعتقد في أهل البيت أن الله تجاوز عن جميع سيئاتهم، لا بعمل عَمِلُوه، ولا بصالح قدّموه بل عناية من الله لهم.

= لسان العرب لابن منظور مادة غضض: 7/ 197.

(1) هو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عمّ رسول الله ﷺ. أسلم وهو ابن ثمان أو عشر سنين، مات رضي الله عنه يوم 17 رمضان سنة 41 هـ. ترجم له في الاستيعاب لابن عبد البر: 3/ 1089 ـ 133. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: 4/ 269، صفة الصفوة: 1/ 130 ـ 140.

(2) الأبيات من البحر البسيط انظرها في كتاب ديوان الإمام علي جمعه الأستاذ نعيم زرزور ص: 5، 6 دار الكتب العلمية السنة 1996.

(3) هو أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف الفاسي توفي سنة 1188 هـ/ 1774 م. ترجم له في الحياة الأدبية في المغرب ص: 306، تاريخ الشعر للنمشي ص: 82.

(4) انظر الأبيات الشعرية في النبوغ المغربي لعبد الله كنون: 3/ 40.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وكتب الإمام القصار[2] على هذا الكلام ما نصه: قول القائل يعتقد أن الله لا يعاقبهم إن أراد تغليب الرجاء في حق مَن علم الله تعالى أنه منهم على الخوف بحق، وإن أراد الاعتقاد الجازم المطابِق بأنهم لا يُعاقَبون فقد ابتدع وخالف السُّنَّة، فإن قيل: وردت به ظواهر، قيل: ورد أكثر منها وأوضح في حق فاعلي طاعات حتى قال المبتدعة، المرجئة: لا يعاقب مؤمن وافق أهل السُّنَّة، وأعدى الأعادي لأهل البيت مَن يُوهِمُهُم ذلك يذكر لهم نحو ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾[3] وإن كثيرًا من تلك الظواهر قد لا تشملهم، فمَن اعتقد ذلك منهم، أو من غيرهم فيهم فهو مبتدع. بل مذهب أهل السُّنَّة أنهم في المشيئة. اهـ.

وكتب على هذا الكلام العلّامة العارف أبو زيد الفاسي[4] ما نصّه: قف على قوله في حق مَن علم أنه منهم تتنبّه على أنه لا يقطع به في معين، ولا يقطع به أحد لنفسه ولو كون شرطه الوفاة على الإسلام وهو غيب. وهكذا ينبغي أن يكون الاعتقاد في كل فضيلة وعد عليها في العقبى بأن يشترط ذلك الإيمان عند الله وهو غيب غير مقطوع به لأحد إلا مَن ميّزه النص على أن مَن تحقَّق قَبْضَة الحق لا يسكن لوعد ربّه تفهم قول سيدي

(1) سورة الأحزاب، آية: 33.

(2) هو محمد بن قاسم القصار الغرناطي الأصل، الفاسي النشأة والدار، قَدِمَ أبوه من غرناطة حين استولى عليها العدو الكافر سنة 897 هـ. من كبار علماء المغرب في العصر السعدي كان متخصّصًا في علم الأنساب والرجال ورواة الحديث، توفي سنة 1012 هـ. ترجم له في صفوة مَن انتشر ص: 16 ـ 19 طبعة حجرية، التقاط الدرر ص: 39، 40، سلوة الأنفاس: 2/ 63 طبعة حجرية.

(3) سورة الأحزاب، آية: 30.

(4) هو: أبو زيد عبد الرحمٰن بن عبد القادر الفاسي أحد كبار أقطاب الفكر المغربي توفي سنة 1096 هـ/ 1685 م. ترجم له في: التقاط الدرر ص: 231، 232، صفوة مَن انتشر ص: 801، سلوة الأنفاس 1/ 314.

عبد السلام[1]: اللّهمّ ألحقني بنسبه، فإن الطينيَّ مشروط بالديني، وهو غيب. وكذا ما ورد في قَبُول الطاعات، والدعاء، وادّخاره فإنما هو فيمن علم الله تعالى منه خاتمة الإيمان ونفذت بذلك إرادته ومشيئته، وأما أحدٌ في خاصّة نفسه، فلا يصحّ منه الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره.

وقد قال سيدي أبو الحسن الشاذلي[2]: وقد أُبهِمَتِ الأَمْرُ علينا لِنَرْجُو وَنَخَافُ. وذلك سِرُّ العبودية، وبذلك تَنْقَطِعُ الآمالُ إلّا من الله، ويتحقّق الرجاء والاعتماد عليه لا على الأسباب فَاْعْرِفْهُ هـ. قال العلّامة ابن زكري فيتبين من نصوص هؤلاء الأئمة أنَّ مُجْمَلَ أحاديثِ التبشيرِ على غلبة الرجاء في حق مَن علم الله أنه منهم.

وأما آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾[3]. فقيل: الإرادة بمعنى الأمر، وقيل: المراد بأهل البيت فيها خصوصًا فاطمة وبعلها وابنيها. وقيل: أزواج النبي ﷺ. وقيل: هما معًا. وتمسك مَن قال: إنه لا عبرة بشرف النسب دون تقوى أصلًا، بحديث أبي هريرة مرفوعًا أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «إني جعلت لنفسي نسبًا، وجعلتم لأنفسكم نسبًا، قلت: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» وأبيتم إلا أن تقولوا: فلان ابن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبي، وأضع أنسابكم. أين المتقون»[4]. وليس فيه تصريح بأن

(1) المراد به هو عبد السلام بن مشيش بن مالك بن علي من أكابر الأولياء العارفين بالله راح ضحية مؤامرة مدبرة سنة 622 هـ. انظر عنه جامع كرامات الأولياء: 2/ 167 ـ 168.

(2) أبو الحسن الشاذلي ولد بغمارة شمال المغرب. توفي سنة 656 هـ/ 1257 م. تتلمذ على يد عبد السلام بن مشيش الذي كلّفه بالدعاية لحركته الصوفية. ترجم له في الطبقات الكبرى للشعراني: 2/ 4 ـ 12، السلوة: 1/ 84، شذرات الذهب: 5/ 278.

(3) سورة الأحزاب، آية: 33.

(4) أخرجه القرطبي في تفسيره: 16/ 346، والحاكم في مستدركه حديث (3725)، 2/ 503 وقال: هذا حديث عالٍ غريب الإسناد والمتن ولم يخرّجاه أي البخاري ومسلم، ومجمع الزوائد للهيثمي وقال رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك 8/ 84، والطبراني في المعجم الأوسط حديث (4511)، 4/ 388. وأخرجه أيضًا في المعجم الصغير حديث (642)، 1/ 383 وقال لا يُروَى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، =

الموضوع النسب إلى الصالحين فيحتمل أن يكون الموضوع النسب إلى أهل المال والوَجَاهَة في الدنيا.

وبحديث الترمذي عن ابن عُمر أن المصطفى خطب بمكة فقال: «يا أيها الناس، إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّة[1] الجاهلية وتَعَاظُمَهَا بآبائها، فالناسُ رجلان: رَجُلٌ بَرٌّ تقيّ كريم على الله وَفَاجِرٌ هَيِّنٌ على الله، فالناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب»[2]. وليس أيضًا بصريح، فإن قوله: بَرٌّ تقيٌّ كريم على الله ليس فيه حصر علّة كرمه في برِّهِ وتقاه، فيجوز أن يزداد كرمًا بانتسابه إلى صالحين.

وروى الطبراني عن أبي نضرة عن مَنْ شهد خطبة النبي ﷺ بمِنى وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال: «أيها الناس، ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلّغت؟»، قالوا: نعم. قال: «لِيُبْلِغ الشَّاهِدُ الغائِب»[3].

البحث الثاني: أن تخريجهم آية: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾[4]، ونَحْوَها على عالم زَمَانِهِم ليس على إطلاقه فإن مِنْ عالِمِي زمانهم بني

= تفرّد به صالح، والبيهقي في شعب الإيمان: 4/ 289، 290، وعبد العظيم المنذري في كتابه الترغيب والترهيب حديث (4495)، 3/ 375.

(1) عُبِّيَّةَ الجاهلية: الكِبْرُ والنخوة، والمراد هو ما كان عليه أهل الجاهلية من التفاخر بالأنساب والتباهي بها. انظر الغريب للخطابي: 1/ 290، والنهاية في غريب الحديث: 3/ 169.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير (1) باب ومن سورة الحجرات حديث (3281) وقال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه. وعبد الله بن جعفر يضعف. ضعفه يحيى بن معين وغيره، وعبد الله بن جعفر هو والد علي بن المديني. والحديث أخرجه أيضًا ابن حبان في صحيحه: 9/ 137، وابن أبي شيبة في مصنفه: 7/ 405.

(3) الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث (23536) 5/ 411 مؤسسة قرطبة مصر ـ ولم يخرجه الطبراني ـ وأخرجه أيضًا القرطبي في تفسيره: 16/ 341، 342، وأبو نعيم في الحلية، وقال: غريب من حديث أبي نضرة: 3/ 100.

(4) سورة البقرة، آية: 122.

إسماعيل. فإذا قِيسَ مَن كان من بني إسماعيل في زمان بني إسرائيل مؤمنًا، غير داخل في ملّة موسى مثلًا، ولكنه على هدي إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام إلى مَن يُسَاويهِ في التقوى من بني إسرائيل فإسماعيل أفضل على الصحيح من الأقوال السالفة لأنه أمَسُّ نَسَبًا بالمصطفى، وذلك معتبر مع التقوى كما مرّ.

ويدلّ له حديث الطبراني عن ابن عمر رفعه: «إن الله اختار خلقه، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم قريشًا، ثم اختار قريشًا فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خيارًا من أخيار»[1]. فهذا يدلّ على أن العرب أفضل من حيث النِّسْبَة إلى إسماعيل، نعم مَن كفر منهم وعبد الأوثان لا فضيلة له ولا يُداني أدنى مؤمن من بني إسرائيل ولا من غيرهم. ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2].

الأمر الثاني مما في كلام مولانا المؤيد: أن مَن دخل في دين الله فهو من أمته، وإن لم يكن ذلك الرسول مبعوثًا إلى هذا الداخل، كمَن دخل من العرب في اليهودية والنصرانية، كأهل اليمن، وطيّىء، وغسان، وأهل نجران وغيرهم، وكان أوله دخول اليهودية اليمن من زمان تبّع الأصغر كما لابن إسحٰق ولغيره.

ولذا قال المصطفى لمعاذ لمّا بعثه إلى اليمن إنك تأتي[3] قومًا أهْلَ

(1) هذا الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه حديث (6996) 4/ 97 دار الكتب العلمية ط I سنة 1990 وصححه. ولم أجده عند الطبراني سواء في معجمه الكبير أو الأوسط، أو الصغير، والله أعلم.

(2) سورة الحشر، آية: 20.

(3) هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الإيمان (7) باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام حديث (19) برواية ابن عباس رضي الله عنه، والبخاري في صحيحه من كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة حديث (1331) دار ابن كثير، اليمامة بيروت 1987 ط ثالثة، برواية ابن عباس أيضًا. وابن خزيمة في صحيحه باب الزجر عن أخذ المصدق خيار المال بذكر خبر مجمل غير مفسّر حديث (2275).

كتاب. قال العلّامة ابن زكري: واستنبط منه شيخ الإسلام أن كل مَن دانَ بدين أهل الكتاب فهو منهم.

قلت: والظاهر أن مَن دخل في دين موسى ممَّن لم يبعث إليهم كالقرب علّة البقاء عليه بعد نسخه بشرع عيسى عليه السلام، لأن النسخ إنما هو في حق مَن بُعِثَ إليه عيسى ولم يُبْعَثْ إلى العرب كما بيّناه في شرح حديث القراريط. وأما ما دخل من أصناف بني آدم في دين المصطفى عليه السلام، فلا شُبهَة في أنه من أمته لأنه مبعوث إلى الناس جميعًا بل إلى الثقلين بإجماع، وإلى الملائكة على أحد قولين. حُكِيَ عن كلٍّ منهما الإجماع. والله تعالى أعلم وبه التوفيق والهداية إلى سواء الطريق، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا، والحمد لله ربّ العالمين.

فهرس المحتويات

الرسالة الأولى
الحُسام الممدود في الرّدّ على اليهود

الرسالة الثانية
الرّدّ على مَن قال بأفضلية بني إسرائيل على العرب